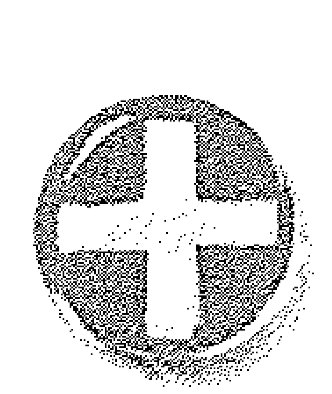
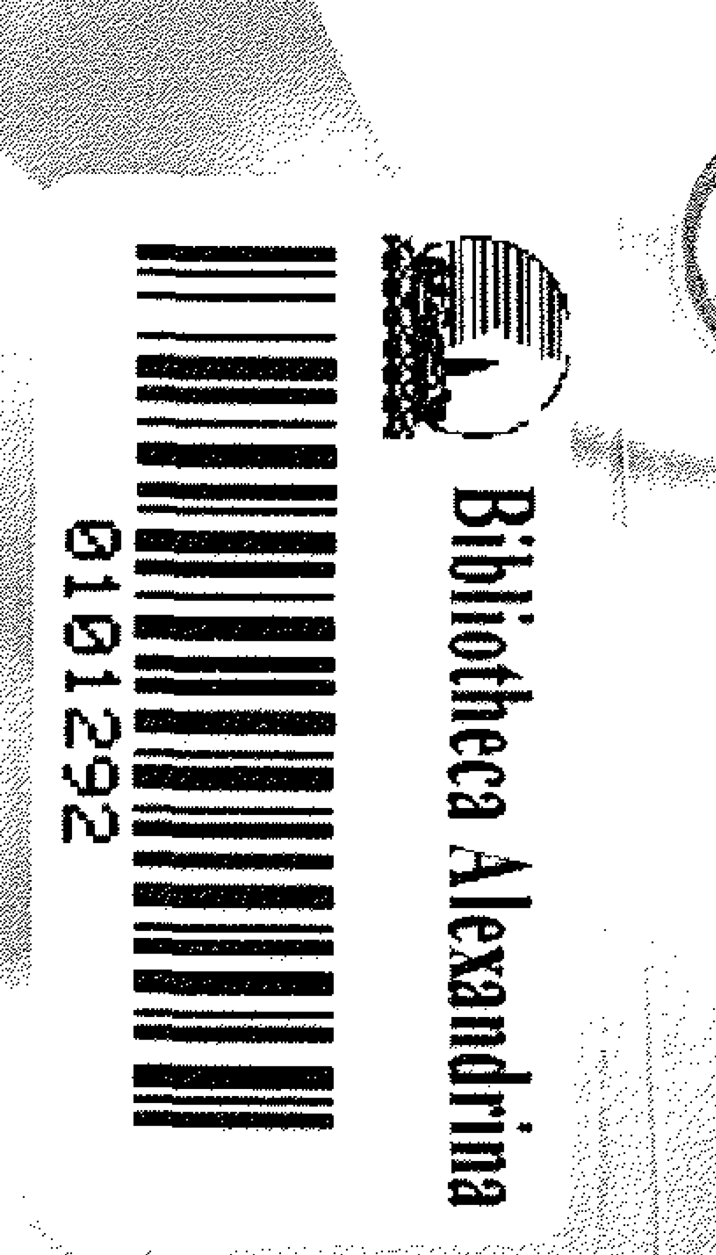
الدكتور إدوار غالي الدهبي

النموذج المصري للوحدة الوطنية







النموذج المصري للوحدة الوطنية

تأليف
الدكتور إدوار غالي الدهبي

النموذج المصري للوحدة الوطنية

الطبعة الأولى
(١٩٩٨)

الناشر
دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)
عبده غريب

الكتـــــاب : النموذج المصرى للوحدة الوطنية

المؤلـــــف : الدكتورإدوار غالى الدهبى

تاريخ النشر : ١٩٩٨م

الناشـــــر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع

عبده غريب

شركة مساهمة مصرية

المركز الرئيسى : مدينة العاشر من رمضان

والمطابـــــع المنطقة الصناعية (C1)

ت: ٠١٥/٣٦٢٧٢٧

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز - عمارة برج آمون

الدور الأول - شقة ٦

ت ، ف : ٢٤٧٤٠٣٨

التوزيـــــع : ١٠ شارع كامل صدقى الفجالة (القاهرة)

رقـم الإيـــداع : ٩٧/١٣٦١١

الترقيـم الـدولـى : I. S. B. N.

977-5810-86-8



الإهـــداء

إلى الشعب المصرى العظيم

المتـفرد فى وحدته الوطنية

المؤلف

"الحفاظ على الوحدة الوطنية وصيانة أسرار الدولة، واجب على كل مواطن".

(المادة ٦٠ من الدستور)

مقدمـــــة

الوحدة الوطنية حقيقة واقعة:

هناك عقبات كثيرة تقف فى طريق مسيرتنا الحضارية والثقافية، لعل أهمها وأخطرها أننا مازلنا نتجادل ونتحاور حول الأمور البديهية.

وإنه لأمر يدعو إلى الأسى العميق أن يجد المثقف المصرى نفسه، وهو يستشرف القرن الحادى والعشرين، مضطراً إلى الكتابة فى أمور كان ينبغي أن نكون قد تجاوزناها منذ أمد بعيد.

وفى مقدمة هذه الأمور مسألة "**الوحدة الوطنية**" بين الشعب المصرى الواحد (ولا أقول بين عنصرى الأمة، لأن الشعب المصرى من عنصر واحد كما سأوضح فيما بعد). ولذلك فقد كنت أود ألا أضيِّع وقتى وجهدى فى وضع هذا الكتاب، باعتبار أن الوحدة الوطنية مسألة محسومة بين أبناء الشعب الواحد.

خطورة بعض الحوادث المؤسفة

ولكن الملاحظ لكل مصرى مخلص وغيور ومحب لوطنه أنه قد وقعت فى السنوات الأخيرة، وعلى وجه التحديد فى العقود الثلاثة الأخيرة من هذا القرن، حوادث مؤسفة بين الأقباط والمسلمين أطلق عليها إصطلاح "**الفتنة الطائفية**" [1]. واللافت للنظر أنه فى كل مرة وقعت فيها هذه الحوادث المؤسفة، كان موقف الأقباط والمسلمين **رائعاً متسماً بمشاعر الوحدة الوطنية**، وكبت الإنفعال

---

[1] انظر : ميلاد حنا ــ نعم ... أقباط لكن ... مصريون ــ مكتبة مدبولى ــ سنة ١٩٨٠ ــ ص ١٢٩، مكرم عبيد ــ الميثاق الوطنى هو الحل ــ المجتمع المدنى ــ نشرة تصدر عن مركز ابن خلدون ــ العدد السابع ــ يوليو سنة ١٩٩٢ ــ ص ١٤.

التلقائى، وإيثار المصالح العليا للوطن، والانتماء إلى أرض مصر، وهذا أمر نعتز به جميعاً كمصريين قبل أن نكون مسلمين وأقباطاً.

وما من شك فى أن هذه الحوادث إذا توالت وتعاظمت فإنها ستدمر البيت على جميع الساكنين فيه، فالنار إذا تأججت امتد لهيبها إلى الجميع، واللغم إذا انفجر فلن ينجو منه مواطن صالح أوطالح، والحرب الأهلية لاتترك وراءها إلا الخراب والدمار.

وقد حذر الأستاذ الكبير مصطفى أمين من خطورة هذه الأحداث بقوله : "... الذين يحاولون اليوم الوقيعة بين المسلمين والأقباط فى مصر، ليسوا مسلمين ولا أقباطاً، بل ليسوا مصريين. هم أعداء للإسلام وأعداء للمسيحية وأعداء لمصر، **فانتزاع حجر واحد من الهرم الأكبر يهدد كيان الهرم كله، فما بالك بمحاولة التفرقة بين عنصرى الأمة،** فهذه محاولة لقتل مصر كلها، ولهدم شعبها، وللقضاء على تاريخها وحضارتها وسمعتها فى العالم..."[١]. وكتب أيضاً "... أى محاولة للعب بالنار لن تخدم الإسلام، ولن تخدم المسيحية، وإنما ستخدم الإلحاد. والذين يلعبون بالنار لن يحرقوا أصابعهم وحدها، وإنما سيحرقون مصر كلها..."[٢].

الحماس الوقتى للحديث عن الوحدة الوطنية :

ولعل من أشد أمراضنا الاجتماعية أننا نتحمس لعلاج مشكلة معينة إذا ما استفحلت وتعاظم خطرها، ولكن سرعان ما تخمد جذوة ذلك الحماس وتعود الأمور إلى ما كانت عليه، بل أسوأ مما كانت عليه، ذلك أننا نكتفى بالمسكنات ونعالج ظواهر المرض دون مسبباته، ولا نحسم الأمور من جذورها، ولذلك قالت الدكتورة ليلى تكلا ــ بحق ــ "إنه لا يصح أن تكون مسألة الوحدة الوطنية من

---

[١] مصطفى أمين ــ فكرة ــ صحيفة أخبار اليوم ــ يوم ١٩٨٠/١/١٢.

[٢] مصطفى أمين ــ فكرة ــ صحيفة "الأخبار" ــ يوم ١٩٨٠/٤/١.

الموضوعات التى نهتم بها من فترة لأخرى حسب الأحوال والظروف فقط عندما تطفو المشكلة أو تثور، بل على العكس فإنى أعتقد أن فترات الهدوء هى أنسب الفترات لمناقشة الموضوع فى حوار هادف وجاد، وأؤمن بأهمية الاستمرارية فى شرح الأبعاد المختلفة لحقيقة المجتمع المصرى وتراثه وطوائفه حتى ترسخ المفاهيم بلا شوائب، وتصبح سداً سابقاً يفوّت الهدف على كل مخطط طائفى..." [١].

وفى هذا الصدد يقول المستشار طارق البشرى : "**أنا لا أريد بطبيعة الحال أن أكون نذير شؤم، إنما قصدى أن أنبه إلى ما ينتظرنا من أخطاء، إن نحن سرنا على مألوف ما نسير عليه الآن. يحدث الحدث فتتبارى أقلامنا فى الكتابة عنه، بالتهوين منه والتذكير بماضى وفاقنا، إلى غير ذلك من "مكيفات الكلام" التى تعزلنا فى غرفنا المغلقة عما يحدثه الهجير والرمضاء فى الطريق، فإذا انتهى الحدث، ظننا أن كلامنا هو ما حاصر الفتنة، وأن الأمور عادت إلى مألوف سيرها البهيج**"[٢].

وكتب الأستاذ إبراهيم نافع (رئيس مجلس الإدراة ورئيس تحرير الأهرام) يقول : "ثبت بالتجربة أن بذور الفتنة تطل علينا من حين إلى آخر، لأننا نتعامل معها من خلال نظرية الفعل ورد الفعل، وكلما وقع حادث هنا أو حادث هناك، بدأنا أولاً بمحاولة تهوين الأمر وعدم اعتباره ظاهرة تعبر حياتنا ... فإذا اتسع نطاقها، نهضنا لمكافحته ومواجهته .. وزار المنطقة علماء الإسلام ورجال الدين المسيحى، وأطلوا على الجميع من فوق منصة وهم متشابكو الأيدى، وتناول الكتّاب الموضوع بالكتابة والتعليق فى الصحف... ثم يهدأ كل شىء ... وننسى كل شىء... إلى أن نفاجأ به يطل علينا برأسه من مكان جديد ... وربما بنفس

---

(١) ليلى تكلا ـ الوحدة الوطنية ليست موضوعاً موسمياً ـ صحيفة الأهرام فى ١٠ أغسطس سنة ١٩٨٧.

(٢) طارق البشرى ـ أربع ملاحظات حول الفتنة الطائفية ـ مجلة "المصور" ـ العدد ٣٢٥٩ فى ٢٧ مارس سنة ١٩٨٧ ـ ص ١٨.

البداية مع اختلاف الظروف. **وهذه واحدة من خطايانا، ولا أقول أخطاؤنا، فى التعامل مع محاولات إثارة الفتنة الطائفية... إن جهودنا للتصدى لها جهود موسمية ... وليست دائمة، ومرتبطة بالأحداث ، ولا تحكمها استراتيجية عامة..." [١].**

وكتبت الدكتورة منى مكرم عبيد : "... لا يمكن تجاهل هذا الخطر أوالاهتمام به موسمياً أو كلما وقع حادث أو تفجرت مأساة، ولا مناص من سياسة شاملة وتحرك عاجل ومطرد لاحتواء المشكلة وتصفيتها"[٢].

الوطن والوحدة الوطنية إسمان لمسمى واحد :

إن الركيزة الجوهرية للوطن ـ كما يقول الأديب الكبير نجيب محفوظ ـ "هى الوحدة الوطنية بين أبنائه، وحدة صادقة حقيقية لاتفرق بين فرد وفرد بسبب من عقيدة أو رأى أو لون أوعنصر. **والوطن والوحدة الوطنية إسمان لمسمى واحد، ونبض لعاطفة واحدة، فلا وطن بلا وحدة، ولا وحدة بلا وطن، وإن أى مساس بحبلها الممدود فى الزمن لهو انقضاض أثيم على قدسيتها لايقل شناعة فى مجاله عن الشرك بالله فى مجاله"[٣].**

* * *

التدين الصحيح سياج للوحدة الوطنية :

فى يقينى أن التدين الصحيح، النابع عن فهم سليم لجوهر الدين، هو السياج الواقى للوحدة الوطنية، فالمسلم الحقيقى يؤمن بأن الله قد خلق الناس جميعاً من نفس واحدة، وأن العباد كلهم إخوة، وأن من سنن الله التى لا تتخلف

---

[١] إبراهيم نافع ـ بهدوء، الفتنة الطائفية والمواجهة الموسمية ـ صحيفة الأهرام فى ٣٠ مارس سنة ١٩٩٠.

[٢] منى مكرم عبيد ـ المقال السابق ـ ص ١٥.

[٣] نجيب محفوظ ـ حول الدين والديمقراطية ـ الدار المصرية اللبنانية ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠ ـ ص٢٠٧.

أن تتعدد الشرائع والمناهج، ولذلك فإن اختلاف الناس فى الرأى والمعتقد أمر حتمى، ويؤمن أيضاً بأن إسلامه لا يكتمل إلا إذا آمن بجميع الرسل والأنبياء الذين سبقوا الرسالة المحمدية. والمسيحى الحقيقى يؤمن بأن الله محبة، وأن الإنسان ـ المخلوق على صورة الله ـ هو أيضاً محبة، ولذلك فإن المسيحى الحقيقى لاتكتمل ديانته إلا إذا أحب جميع الناس ولوكانوا من الأعداء[1].

وإذا أضفنا إلى ذلك أن المصريين جميعاً ـ مسلمين وأقباطاً ـ من عنصر واحد وأصل واحد، ولايمكن التفرقة بينهم من حيث الأصل أو العرق أو الشكل أو أسلوب المعيشة، فإن النتيجة الحتمية لذلك هى قيام الوحدة الوطنية فى أبهى صورها ، كما نراها فى المجتمع المصرى.

لماذا هذا الكتاب :

فى سبيل دعم الوحدة الوطنية، وإحكام أواصر المحبة والتآخي التى تربط الشعب المصرى بمسلميه وأقباطه، وضعت هذا الكتاب.

إنه كتاب من أجل مصر .... وفى حب مصر

فهى البداية .... وهى النهاية

هى الأمل .... وهى النور

---

[1] وفى هذا الصدد كتب الأستاذ العميد الدكتور عبد الناصر العطار : " إن التدين الصحيح الكامل هو درع للوحدة الوطنية، فالمسيحى إذا تدين تديناً كاملاً سعى إلى المحبة، والمسلم إذا تدين تديناً كاملاً سارع إلى الخيرات" (الوحدة الوطنية والتمسك بالعقيدة ـ صحيفة الأهرام ـ ١٩٨٩/٥/٢٨).

تقسيم:

رأيت أن أتناول هذا الموضوع فى أربعة فصول كما يلى:

الفصل الأول : التعددية فى المجتمع الإسلامي.

الفصل الثاني : المحبة فى العقيدة المسيـــحية.

الفصل الثالث: الشعب المصري عنصر واحد.

الفصـــل الرابـع : الوحـــدة الوطنيـــة فـــى تـــاريخ مصـــر المعـــاصر.

الفصل الأول

التعددية فى المجتمع الإسلامى

تقسيم :

سنقسم هذا الفصل إلى المباحث الثلاثة الآتية :

المبحث الأول : أساس العدل فى الإسلام.

المبحث الثانى : وحدة الدين فى العقيدة الإسلامية.

المبحث الثالث : الإسلام ينادى بالوحدة الـوطنية.

المبحث الأول

أساس العدل فى الإسلام

مكانة الإنسان فى الإسلام :

يقوم العدل فى المجتمع الإسلامى على أساس نظرة الإسلام للإنسان، فالإنسان فى الإسلام يحظى بمكانة كبرى من ثلاث نواحٍ : فقد كرّمه الله عز وجل، واستخلفه فى الأرض، وحمّله الأمانة[1].

وفى شرح آية ﴿**ولقد كرمنا بنى آدم**﴾ (الإسراء ـ ٧٠) كتب فضيلة الإمام الأكبر المرحوم الشيخ جاد الحق على جاد الحق:" هذه القاعدة هى التى أقيمت عليها حقوق الإنسان فى هذا العصر. هذه الفكرة أساسية فى الشريعة الإسلامية ودراساتها، وأن المصالح والمنافع والرخص والمباحات التى تضمنتها نصوص الشريعة لصالح الفرد والمجتمع، ووجهت إلى رعايتها وحمايتها، يسوغ أن تسمى بتعبيرات العصر حقوقاً للإنسان"[2].

ويلاحظ فى الآيات القرآنية العديدة التى تمجد الإنسان وتعلى مرتبته فوق كل المخلوقات، تتناول الإنسان لذاته، لا لاعتقاده، ومن حيث هو تكوين بشرى، وقبل أن يعتنق ديناً معيناً، وقبل أن يصبح أبيض أو أسود أوأصفر، وليس صحيحاً على الإطلاق أن تلك الحفاوة القرآنية من نصيب المسلمين دون غيرهم كما يتصور البعض، ذلك أن النصوص القرآنية شديدة الوضوح فى هذه النقطة بالذات، فهى تارة تتحدث عن "**الإنسان**" وتارة تتحدث عن "**بنى آدم**" ومرات أخرى توجه الحديث إلى "**الناس**" وهذا التعميم لن تخفى دلالته على أى عقل منصف

---

(١) انظر التفصيل والآيات القرآنية العديدة فى كتابنا : معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٣ـ ص١٥ وما بعدها.

(٢) الشيخ جاد الحق على جاد الحق ـ المنظور الإسلامى لحقوق الإنسان ـ صحيفة الأهرام ـ ١٩٩٤/٣/٨.

مدرك للغة الخطاب فى القرآن الكريم التى تستخدم موازين للتعبير غاية فى الدقة، فتبين متى يكون الخطاب للإنسان والناس عامة، ومتى يوجه الكلام إلى المؤمنين والمسلمين قبل غيرهم[١].

إن الإنسان فى نظر الإسلام هو مخلوق الله المختار، الذى نفخ فيه من روحه، وفضله على جميع المخلوقات، وليس للمسلم من هذه الزاوية أى أفضلية على غيره، وإنما هو إنسان شأن أى إنسان آخر[٢].

الإسلام يتعامل مع البشر جميعاً باعتبارهم أسرة واحدة، أصلها واحد وربها واحد. كذلك يعتبر الإسلام أن خير الناس أنفعهم للناس، وخير خلق الله أنفعهم لعباده، ولا تمايز بينهم ولاتمييز إلا بمقدار ما يمكن أن يقدموه لأنفسهم وللآخرين من خير.

الإسلام يساوى بين الناس جميعاً :

هذه النظرة السامية للإنسان ــ لمجرد كونه إنساناً وبغض النظر عن أية صفة أخرى فيه ــ تقود على الفور إلى تأكيد حقيقة ثابتة، وهى أن الإسلام يساوى بين الناس جميعاً، فالتفرقة بين الناس ــ فيما هو دنيوى ــ حسب اعتقادهم أوجنسهم أو لونهم ليست من منهج الإسلام، فالناس جميعاً ــ بنص القرآن الكريم ــ قد خلقوا من نفس واحدة.﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء**﴾ (النساء ــ ١)، ﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير**﴾ (لقمان ــ ٢٨).

وكان الرسولﷺ يردد فى دعائه فى آخر الليل : اللهم إنى أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، وأن العباد كلهم إخوة[٣].

---

(١) للمزيد : فهمى هويدى ــ مواطنون لا ذميون ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥ ــ دار الشروق ــ ص ٨١.

(٢) فهمى هويدى ــ الاشتباك الموهوم بين الإسلام والتعددية ــ صحيفة الأهرام ــ ١٩٩٦/٦/١٨.

(٣) سنن أبى داود.

هذه المساواة بين الناس ـ التي أكدها الإسلام ـ لاتقتصر على كونها "حقاً" للإنسان، بل تتجاوز ذلك إلى إدخالها في إطار "**الواجب**" فحقوق الإنسان في الإسلام تعتبر من "**الضرورات الواجبة**" بحيث يأثم من يفرط فيها، فهي الأساس الذي يستحيل قيام "الدين" بدون توفرها للإنسان[1].

وفي الخطاب الهام الذي القاه الرئيس محمد حسني مبارك في المؤتمر السابع والعشرين لمنظمة اليونسكو في باريس يوم ١٩٩٣/١٠/٢٩، قال :الإسلام كان وسيظل إلى أبد الدهر رسالة عالمية تخاطبُ الناس جميعا على أساس العدالة والمساواة، فلا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، والناس سواسية عند الله...وإذا نظرنا إلى سلوك المسلمين في المجتمعات التي أقاموها في أنحاء العالم المختلفة، لوجدنا أن سيرتهم ـ وخاصة في عصور إزدهارهم ـ كانت نموذجاً للتعايش والتآلف والتسامح ورفض التفرقة والتمييز والتعصب.... بل أن المجتمع الإسلامي سمح بالتعدد والتنوع حتى في داخله، كما هو ثابت من تنوع الرؤى الفلسفية والاجتهادات حسب اختلاف الظروف البيئية والخلفية الحضارية، فلم يفرض نمطاً معيناً في التفكير، ولم يحجر على حق الإنسان في التكيف مع الأوضاع السائدة في منطقة معينة دون أخرى..." [2].

كذلك أكد الرئيس محمد حسني مبارك هذه المعاني في الاحتفال الذي أقامته وزارة الأوقاف بليلة القدر يوم ١٩٩٥/٢/٢٦ قال : ".... الناس جميعاً خلق الله، واختلافهم في الدين أمر من الأمور الطبيعية ومن مقتضيات المشيئة الإلهية.....**إن من أوضح الأمور أن ديننا الحنيف يدعو إلى أن تقوم العلاقات بين المسلمين وغيرهم على أسس إنسانية تحقق التعاون، وتثمر تحقيق المصالح المشتركة.** ليس من مقاصد الإسلام صراع بين الأديان، وليس من قيمه أن يعادي المسلمون غير المسلمين، والنصوص القرآنية في ذلك واضحة صريحة لا تقبل التأويل أو الانحراف في التفسير..... علينا أن نعمل بكل ما نستطيع على

---

(١) محمد عماره ـ الإسلام وحقوق الإنسان ـ ضرورات لاحقوق ـ الكويت ـ سنة ١٩٨٥ ـ ص ١٤-١٦.

(٢) جميع الصحف الصادرة صباح يوم ١٩٩٣/١٠/٣٠.

الحفاظ على الحقوق الإنسانية للآخرين ماداموا غير معتدين، فلا نفترض علاقة عداء بيننا وبينهم لمجرد مخالفتهم فى دينهم، فديننا بسماحته ورحابته وإنسانيته، أكد حرية العقيدة للجميع وحثنا على أن نحسن التعامل مع الآخرين ماداموا ملتزمين بالعهود والمواثيق...." [1].

وفى خطابه الهام ليلة الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف يوم ١٩٩٦/٧/٢٧، قال الرئيس محمد حسنى مبارك "إن جوهر الإسلام وتعاليمه السامية يقضيان باحترام النفس الإنسانية، وبالحفاظ على التضامن بين أبناء الأمة، وتوحيد صفوفهم، والكف عن الأذى والضرر، عملاً بقول الرسول الكريم "لاضرر ولا ضرار" وكل هذا يشكل مبدأ من أهم مبادىء الإسلام العظيم، دين العدل والرحمة......" [2].

وفى نفس الاحتفال قال فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر : "إن رسالة النبى علمت المسلم أن غير المسلمين بالنسبة له ينقسمون إلى ثلاثة أقسام : إما قوم لايعيشون معنا فى بلادنا وإنما يعيشون فى بلادهم ولا يسيئون إلينا. وإما قوم يسيئون إلينا بشتى ألوان الإساءة ويعلنون الحرب الظاهرة والخفية علينا وعلى أوطاننا . **وإما قوم يعيشون معنا فى بلادنا تظلنا سماء واحدة، وتقلنا أرض واحدة، وتجمعنا مصالح مشتركة، ونشرب من ماء واحد، وهؤلاء تقول لنا شريعة الإسلام بالنسبة لهم: "لهم ما لنا وعليهم ما علينا"** [3].

العدل قيمة مطلقة :

العدل ــ فى الإسلام ــ قيمة مطلقة وليست نسبية، بمعنى أنها مفروضة على المسلم فى كل الظروف، أى فى مواجهة الأعداء كما هى مع الأهل والحلفاء. ولذلك كتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أحد عماله يقول: "أما العدل فلا

---

(١) جميع الصحف الصادرة يوم ١٩٩٥/٢/٢٧.

(٢) جميع الصحف الصباحية يوم ١٩٩٦/٧/٢٨.

(٣) صحيفة الأهرام يوم ١٩٩٦/٧/٢٨.

رخصة فيه من قريب أو بعيد، ولا فى شدة ولا رخاء، والعدل وإن رئى لينـا، فهـو أقوى وأطفأ للجور، وأقمع للباطل من الجور"[1].

وكتب فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق: "العـدل مـن حيث جوهره ليس قاعدة من قواعد الإسـلام فحسـب، وإنمـا هـو مثـل أعلـى مـن حقائق وقيم الإسلام الكريمة التى حض على تحقيقهـا وإشـاعتها بيـن النـاس فـى ثمان وعشرين آية من القرآن الكريم..... فالعدل فى عرف الإسلام فريضة واجبـة فرضها الله على جميع الناس دون استثناء ... الناس فـى شـرع الإسـلام متسـاوون جميعاً فى الحقوق والواجبات، متساوون فى تكوينهم وأصل خلقهـم، فلـم يخلـق الله شعباً أو جماعة من طين أشرف من الطين الذى خلق منه شعباً آخر أو جماعـة أخرى ... **إن الإسلام هـو صـاحب الشريعة الوحيـدة التى استطاعت أن تقـر المسـاواة مبـدأ نـافذاً بيـن النـاس جميعـاً**، وأحلـت الانسـجام بيـن القيمـة وبيـن الواقع...." [2]

قانون ابن تيمية :

وضع شيخ الإسلام ابن تيمية قانوناً اجتماعياً هاماً أقامه على العدل وهو: إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كـانت مسـلمة[3]، وأن : الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام[4]، وأن : العدل نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت، وإن لم يكن لصاحبها فى الآخـرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم وإن كان لصاحبها من الإيمان ما يجزى بـه فى الآخرة[5]. وهذا ما جعل السـلف مـن قبـل ينحـازون إلـى الكـافر العـادل دون

---

[1] انظر : فهمى هويدى ـ القطب الأعظم للدنيا ـ صحيفة الأهرام ـ ١٩٩٢/٨/٤.

[2] الشيخ جـاد الحق على جـاد حـق ـ الإسـلام رسـالة إنسـانية أقـامت العـدل والمسـاواة ـ الأهـرام ـ ١٩٩٤/٣/٥.

[3] ابن تيمية (شيخ الإسلام تقى الدين أحمد) ـ الأمـر بـالمعروف والنهى عـن المنكـر ـ الطبعـة الثانيـة ـ القاهرة ـ المكتبة القيمة ـ سنة ١٤٠١ هـ ـ ص ٤٢-٤٣.

[4] ابن تيمية ـ الحسبة فى الإسلام ـ الإسكنـدرية ـ دار عمـر بن الخطاب ـ بدون تاريخ ـ ص ٤٦.

[5] ابن تيمية ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ـ المرجع السابق ص ٤٣.

المسلم الجائر بقولهم "إن المسلم الجائر إسلامه له وجوره علينا، فى حين أن الكافر العادل كفره عليه وعدله لنا".

التزام الحكام المسلمين بقواعد المساواة بين المسلمين وغيرهم:

إني، باعتبارى أحد رجال القانون، قد بهرنى كثيراً ماسجله التاريخ للحكام المسلمين من التزامهم بقواعد المساواة بين المسلمين وغير المسلمين، سواء فيما يتعلق بإجراءات التقاضي أوفيما يتعلق بالأحكام الموضوعية للقانون.

ففيما يتعلق بإجراءات التقاضي، يروى أن خصومة بين على بن أبى طالب ويهودى رفعت إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فنادى عمر علياً بقوله : قف يا أبا الحسن، فبدا الغضب على وجه على، فقال عمر: أكرهتَ أن نسوى بينك وبين خصمك فى مجلس القضاء؟ فقال له: لا، ولكنى كرهتُ منك أن عظمتنى فى الخطاب فناديتني بكنيتى، ولم تصنع مع خصمى اليهودي ما صنعت معى[1].

أما فيما يتعلق بالمساواة أمام الأحكام الموضوعية للقانون،فاكتفى بالإشارة إلى القصة الشهيرة للصبى القبطى الذى شكا إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ما وقع عليه من اعتداء بالضرب من ابن عمرو بن العاص، فأمر عمر بأن يقتص القبطى من ابن حاكم مصر، وهو يقول للقبطى: اضرب ابن الأكرمين، وقبل أن تعرف الدنيا شيئاً اسمه حقوق الإنسان وجه عمر بن الخطاب اللوم إلى عمرو بن العاص بقوله : "لمَ استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً" [2]. هذه العبارة الخالدة لم تعرفها المجتمعات الغربية إلا عندما قامت الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ وأصدرت إعلان حقوق الإنسان الذى نص على أن يولد الناس أحراراً ومتساوين فى الحقوق.

- انظر أيضاً : عبد الرحمن الشرقاوى ـ الفقيه المعذب ابن تيمية ـ كتاب اليوم ـ العدد ٤٤ ـ يونية سنة ١٩٨٥ ـ ص ١٥٥، فهمى هويدى ـ فى الشريعة : العدل قبل الحد ـ الأهرام ١٩٩٣/٤/١٣.

(١) انظر : عبد الرحمن الشرقاوى ـ الفاروق عمر بن الخطاب ـ سنة ١٩٨٧ ـ ص ٢٧٠.

(٢) عبد الرحمن الشرقاوى ـ الفاروق ... ص٢٣، عبد العزيز حافظ دنيا ـ العدالة العمرية ومبادىء الإسلام ـ سنة ١٩٨٨ ـ ص٤٥، عباس محمود العقاد ـ عبقرية عمر ـ الطبعة الرابعة ١٩٤٨ـ ص ٦٨، فهمى هويدى ـ المرجع السابق ـ ص٨٣، نظمى لوقا ـ عمر بن الخطاب ـ البطل والمثل والرجل ـ مكتبة غريب ـ سنة ١٩٨٧ ـ ص ١٥٩.

المبحث الثانى

وحدة الدين فى العقيدة الإسلامية

الإسلام يؤمن بالرسالات السابقة عليه :

بالإضافة إلى أن الناس كلهم قد خلقوا من نفس واحدة، فإن الاسلام يؤمن بجميع الرسالات التى سبقت الرسالة المحمدية، فإسلام المسلم لايكتمل إلا إذا آمن بجميع الرسل والأنبياء، وبذلك فقد أضاف الإسلام فى أسس التعامل مع غير المسلمين، وشيجة إيمانية إلى جانب الوشيجة الإنسانية[1].

وفى هذا الصدد يقول الدكتور إسماعيل الفاروقى:".... بقبوله لأنبياء اليهود وللمسيح، فإن الإسلام قد حدَّ من كافة الفروق بينه وبين تلك الديانات، وجعلها مجرد اختلافات داخلية، قد تكون راجعة للفهم الإنسانى، أكثر من كونها راجعة لله أو دين الله. وبذلك فإنه قد قلل الهوة بين المسلمين واليهود والمسحيين إلى أقل حد ممكن، فقد جعل الفارق بالنسبة للديانات الثلاث فارقاً داخلياً"[2].

وكتبت الأستاذة الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) تقول:" أتحدث عن الإسلام ختام الرسالات دون أن يغيب عنى أنه مصدق لها جميعاً، فتصديقنا نحن المسلمين بكتب الله ورسله، ليس على سبيل المجاملة أو العرف، بل هو مقرر فى أصول شريعتنا بصريح نص القرآن الكريم فى سبع عشرة آية محكمة، والتصديق فى الدلالة اللغوية، نقيض التكذيب، وتعطيه الدلالة القرآنية حرمة الإيمان، ويرسخه فى عقيدة أمتنا أن لانفرق بين أحد من رسله، قال تعالى

---

(1) فهمى هويدى ـ المرجع السابق ـ ص ١٥٢-١٥٣.

(2) انظر : فهمى هويدى : المرجع السابق ـ ص ١٥٣ وقد أشار إلى دراسة الدكتور إسماعيل الفاروقى ـ حقوق غير المسلمين فى الدولة الإسلامية ـ دراسة نشرتها مجلة المسلم المعاصر ـ عدد ٢٦-سنة ١٩٨١.

﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، لانفرق بين أحد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير...﴾ (البقرة ـ ٢٨٥) [١].

فى هذا الصدد أيضاً قال فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الجامع الأزهر فى كلمته فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف مساء يوم ١٩٩٧/٧/١٦ "..... نحن المسلمين نحترم ونوقر ونؤمن بجميع أنبياء الله عز وجل، لانفرق بين أحد منهم، وبهذا يأمرنا خالقنا وديننا ورسولنا صاحب هذه الذكرى الكريمة... وقد بين الله تعالى لنا أن الذين يسيئون إلى أنبياء الله عز وجل عليهم اللعنة فى الدنيا والآخرة"[٢].

الدعوة إلى دين واحد :

أساس اعتراف الإسلام بجميع الرسل والأنبياء، يرجع إلى أنهم ـ جميعاً ـ قد دعوا إلى دين واحد "لاتختلف أصوله، ولاتتعدد أغراضه، كشجرة واحدة جذرها وروحها توحيد الله سبحانه وتعالى، وجذعها عبادته وحده دون سواه، وأغصانها أنظمته وشرائعه المحققة لسعادة البشرية، وثمارها وأزهارها قد تتعدد أشكالها وألوانها وطعومها حسب الأمزجة المختلفة والأزمنة المتغيرة والمصالح المتجددة"[٣].

وقد لاحظت الأستاذة الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) أن "كلمة (الدين) لم تأتِ فى القرآن الكريم بصيغة الجمع (أديان) على الإطلاق،

---

(١) عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) ـ الدين رسالة حضارية إلى الإنسان ـ صحيفة الأهرام ـ ١٩٩٤/١١/١٧.

(٢) جميع الصحف الصباحية الصادرة يوم ١٩٩٧/٧/١٧. ـ وهذه الكلمة تتضمن إدانة الجريمة التى ارتكبتها فتاة إسرائيلية، عندما رسمت النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة مهينة.

(٣) الشيخ الدكتور وهبة الزحيلي ـ نظام الإسلام ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤ منشورات جامعة بنغازى ـ ص٥٥.

وإنما هو دين واحد، وقد تعددت رسالاته ورسله، والـذى تلقاه خاتم الرسل هو فى جوهره ما تلقاه الرسل من قبله"[١].

وفى هذا الصدد كتب الأستاذ الدكتور أحمد كمال أبو المجد: "**الإسلام فى جوهره استمرار لدعوة الحق التى جاء بها الأنبياء والمرسلون، وليس دعوة جديدة مناقضة لدعوتهم.** وكما التقى النبى ﷺ بإخوانه الأنبياء والرسل فى رحلة الإسراء والمعراج، فالمسلمون يطالبون بالالتقاء بالدنيا كلها، والتواصل مع شعوبها، ومكانهم كان ولايزال مع الناس، وليس بعيداً عن الناس"[٢].

وكتب الاستاذ رجب البنا : "....الإسلام ليس ديناً منقطع الصلة بغيره من الأديان السماوية، **لأنها كلها من مصدر واحد...** ولذلك فهو يتفق معها ويعترف بها ويتعاون مع أهلها، وما يتفرد به فى العقائد والعبادات ليس سبباً فى وجود عداء من أى نوع مع الاخر ... وهذا ما يفسر أمر الرسول ﷺ للمهاجرين الأوائل بالهجرة إلى الحبشة ليعيشوا فى رعاية نجاشى الحبشة المسيحى، وزواجه عليه الصلاة والسلام، بالسيدة ماريا القبطية، ووفاته ودرعه مرهون عند يهودى، كإشارة إلى أن علاقات المسلمين بسائر الأديان علاقات إخوة وتعاون، وليست علاقات عداء إبتداء بحكم العقيدة الإسلامية كما يروّج بعض المفكرين الغربيين"[٣]

تعدد مواضع الالتقاء بين الإسلام والمسيحية من أهم دعائم الوحدة الوطنية:

إن مواضع الالتقاء العديدة بين الإسلام والمسيحية، تعد من أهم دعائم الوحدة الوطنية. وفى هذا الصدد يقول الانبا غريغوريوس أسقف عام الدراسات

---

(١) عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) ـ القرآن وقضايا الإنسان ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٧٥ ـ ص ١٠٠.

(٢) أحمد كمال أبو المجد ـ الحوار مع الشباب ـ العنصر الغائب فى قضية الإرهاب ـ صحيفة الأهرام ـ ١٩٩٣/٤/٤.

(٣) رجب البنا ـ كيف نقدم الإسلام للغرب؟ ـ مجلة الرائد ـ تصدرها نقابة المعلمين ـ العدد الثانى ـ أكتوبر سنة ١٩٩٧ ـ ص ٢١.

العليا والثقافة القبطية والبحث العلمى "إن نقط الالتقـاء بين الإسلام والمسيحية أعظم من نقط الالتقاء بين اليهودية والمسيحية : ١- فالمسلمون يؤمنون بالتوارة والإنجيل، بينما أن اليهود لايؤمنون بالإنجيل. ٢- والمسلمون يؤمنون بالمسيح، وفى القرآن أن المسيح كلمة الله وروح منه، أما اليهود فلا يؤمنون بالمسيح الذى أتى، وإنما ينتظرون مسيحاً آخر على طراز شمشون الجبار وغيره من المحاربين الأشداء والمقاتلين الذين يخلصونهم من أعدائهم الظاهرين. ٣- والمسلمون أيضاً يكرمون العذراء مريم، وفى القرآن أن الله اصطفاها وطهرها واصطفاها على نساء العالمين، كما يؤمن المسلمون بالميلاد البتولى للسيد المسيح، وأن مريم قد ولدت المسيح وهى لاتزال عذراء. أما اليهود فيقولون لا نكرم العذراء وليس لها عندهم أى إحترام. لهذه الأسباب الثلاثة ـ على الأقل ـ يجب أن يُعتَبر المسلمون أقرب إلى المسيحيين من اليهود، ويجب أن يكون للإسلام المكان الأول فى دراسة الديانات غير المسيحية"[1] .

كذلك أكد هذه المعانى قداسة البابا شنودة الثالث فى حديثه الهام مع الأستاذ رجب البنا، قال : "إن اليهود ينكرون أن المسيح جاء، ومازالوا حتى الآن ينتظرون قدوم المسيح ليكون زعيماً سياسياً وعسكرياً يعيد إليهم ملك داود وسليمان ... أما الإسلام فإنه يقر بوضوح أن المسيح جاء، وأنه ولد من العذراء مريم، والإسلام يؤمن بمعجزات السيد المسيح ويذكرها القرآن، والإسلام يسمى المسيحيين "أهل الكتاب" وفى ذلك اعتراف واحترام لهم، أما اليهود فينكرون الأديان الآخرى. والإسلام يضع السيدة العذراء فى مكانة عالية "يامريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين" **ولذلك فإن التقارب بين الإسلام والمسيحية شديد....** إننى أعلم جيداً سماحة الإسلام، وأستشهد بآية فى القرآن توصى المسلمين بمحبة المسيحيين: **﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون﴾**

---

[1] انظر : بولس باسلى ـ الأقباط وطنية وتاريخ ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧ ـــ ص ١٠٥ ويقول إن الأنبا غريغوريوس أعلن ذلك فى مجمع الفاتيكان الثانى.

(المائدة ـ ٨٢) وأستشهد أيضاً بالحديث الشريف: "استوصوا بالقبط خيراً فإن لكم فيهم نسباً ورحماً"[١].

ولا يفوتنى أن أشير إلى الزيارة التاريخية التى قام بها فضيلة الداعية الإسلامى الكبير الشيخ محمد متولى الشعراوى، لقداسة البابا شنودة الثالث بالمقر البابوى يوم الخميس ١٩٩٤/١/١٣، بمناسبة تقديم الشكر لقداسة البابا للعناية به والسؤال عنه أثناء مرضه فى لندن، فقد صرح فضيلة الشيخ الشعرواى بقوله : "إن هذا اللقاء تأخر كثيراً، وكان يجب أن يكون قبل هذا اليوم... **إن مساحة الاتفاق بين المسلمين والمسيحيين واسعة ، ويمكن أن نعمل جميعاً من خلالها**، غايتنا رفعة مصر، وتقدم شعبها، ووحدة أبنائها..." وقدم قداسة البابا شنودة الثالث هدية إلى فضيلة الشيخ الشعراوى عبارة عن كتاب "لسان العرب" لابن منظور، كما قدم فضيلة الشيخ الشعراوى "عباءة من الصوف" هدية لقداسة البابا[٢].

كذلك ينبغى أن أذكر الزيارة التى قام بها الأمير تشالز ولى عهد بريطانيا، لمصر ولقائه بفضيلة مفتى الجمهورية الدكتور محمد سيد طنطاوى (شيخ الأزهر الآن)، فقد أكد الأمير على أن الإسلام والمسيحية يشتركان فى النظرة الوحدانية والإيمان بالله الواحد، وان الحياة الدنيا فانية، والمسئولية عن أعمالنا فى الآخرة، كما أن الدينين يشتركان فى كثير من القيم[٣].

الأنبياء إخوة :

فى ضوء وحدة الدين مع تعدد الرسالات، والتقارب الشديد بين الإسلام والمسيحية، يمكن فهم الحديث النبوى الشريف عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: "الأنبياء إخوة لِعَلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد. وأنا أولى الناس بعيسى بن مريم لأنه لم يكن بينى وبينه نبى"[٤].

---

(١) انظر هذا الحديث فى مجلة "أكتوبر" العدد ١٠٨٨ بتاريخ ١٩٩٧/٨/٣١.

(٢) جميع الصحف الصباحية الصادرة يوم الجمعة ١٩٩٤/١/١٤.

(٣) انظر صحيفة الأهرام يوم ١٩٩٥/٣/١٣.

(٤) البخارى فى صحيحه ــ جـ ٦ ص٣٥٤، مسند الإمام أحمد بن حنبل جـ ٢ ص ٤٠٦.

وفى شرح هذا الحديث النبوى الشريف كتب فضيلة الأستاذ الشيخ أحمد حسن الباقورى: "العَلات عبارة عن الزوجات المتعددات لرجل واحد، وهن جمع عَلَّة (بفتح العين أى ضُرَّة)، ورسول الله ﷺ يقرر فى هذا الحديث أنه مع سائر الأنبياء والمرسلين أخ لإخوة من أب واحد وأمهات مختلفة، فجعل عليه السلام وحدة الدين بمنزلة وحدة الأب، وجعل اختلاف الشرائع بمنزلة اختلاف الأمهات..."[1]. واختتم فضيلته - رحمه الله - شرحه بقوله: "... يطيب لمن يتأمل أن يتمنى أن يتمثل المتدينون فى سائر أرجاء الأرض وكل جوانب الدنيا، **أنهم إخوة فى الدين وإن اختلفت بهم شرائع رسلهم، وأنبيائهم، فإنهم إن تمثلوا هذا المعنى وأدوا حق هذه القرابة الدينية، فإنهم يبتعدون - بغير شك - عن التعصب المهلك والاستغلال الدنيء، وسوف يجمع هذا المعنى الجليل كلمتهم على أن تسود فى الأرض كلمة السماء**"[2].

---

(١) أحمد حسن الباقورى - قطوف من أدب النبوة - كتاب اليوم - العدد ١٨٨ - يولية سنة ١٩٨١ - ص ٧٧.

(٢) أحمد حسن الباقورى - المرجع السابق - ص ٧٩.

المبحث الثالث

الإسلام ينادى بالوحدة الوطنية

أول وثيقة مكتوبة فى تاريخ الإسلام:

إن أول وثيقة مكتوبة فى تاريخ الإسلام، وهى الوثيقة إلى حررها النبى ﷺ، وهو يرسي أسس المجتمع الإسلامى فى المدينة، والتى عرفت باسم "الصحيفة"، قد تضمنت نصاً اعتبر اليهود مع المسلمين **"أمه واحدة"**، بحيث عوملوا كمواطنين فى الدولة الإسلامية الوليدة، ولم يعاملوا كأجانب أو رعايا من الدرجة الثانية.

هذه الوثيقة جعلت غير المسلمين المقيمين فى دولة المدينة، مواطنين فيها، لهم من الحقوق مثل ما للمسلمين، وعليهم من الواجبات مثل ما على المسلمين.

هذه الوثيقة تعد مفخرة من مفاخر الإسلام، لأنها سبقت المواثيق العالمية والدساتير الوطنية بقرون عدة فى مجال تطبيق مبدأ الحرية الدينية فى ظل ظرف الأمن والسلام الاجتماعى القائم على مبدأ الوحدة الوطنية بين ذوى العقائد الدينية المختلفة.

ويتضح البعد التقدمي والحضارى لصحيفة المدينة إذا لاحظنا أن المبدأ الذى كان سائداً فى العالم فى ذلك الوقت، هو إكراه الرعايا على اعتناق دين ملوكهم، فالصحيفة رفضت الأخذ بهذا المبدأ الذى كان سائداً فى دولتى الروم والفرس، وقررت أن من حق الشعوب الخاضعة لسلطان الدولة الإسلامية الوليدة أن تحافظ على معتقداتها وتقاليدها وطراز حياتها.

ويقول الداعية الإسلامى الكبير فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فى يومياته عن صحيفة المدينة: "وكان هذا العهد دستوراً لأهل المدينة جميعاً، مسلمين وغير مسلمين، لم يترك صغيرة ولاكبيرة تؤدى إلى الألفة والمحبة

والتعاون إلا نص عليها وقررها... وبهذا يكون النبي ﷺ **قد أقام وحدة وطنية داخل المدينة يعمل الجميع فى إطارها،** ويلتزمون بكل بنودها، متمتعين بعدل الإسلام وسماحته ... وإذا كان اليهود أقلية فى مجتمع المدينة، فإن الإسلام جعل لهذه الأقلية حقوقاً، وجعل عليها واجبات، وهذا شأن الحكم العادل الذى لايعتدى على ضعيف ولا يظلمه ولا ينكر حقاً من حقوقه، مادام يؤدى ما عليه من واجبات، فالكل سواسية أمام القانون، ومن يأثم على القانون فإنما إثمه على نفسه"[1].

ويضيف فضيلة الشيخ الشعراوى قوله : "... إن اعتراف هذه الصحيفة بجماعة المختلفين، ثم وصفهم بالأمة الواحدة، يؤكد أن الألفة بين الجماعات على أرض واحدة، هى حجر الأساس فى بناء الوطن، ومصباح الطريق إلى مستقبل قوى عزيز لهذا الوطن.... وعلينا أن نضرب الأمثال من تراثنا التاريخى وميراثنا الوطنى، وأول هذه الأمثال "**صحيفة المدينة**" لعل العالم يفتح عينيه من جديد على ما يحمل الإسلام من فكر متقدم فى حقوق الإنسان، وحقوق المواطنة، وحرية التدين، وإنكار التصفيات العرقية، لأن لكل إنسان حق الحياة الكريمة التى يؤدى فيها واجباته ويأخذ حقوقه، **إن الإسلام هو صاحب مبدأ الوحدة الوطنية بين الأكثرية والأقلية، وبين المختلفين فى العقائد على السواء...** ومن واجب الهيئة العامة للكتاب أن تذيع "**صحيفة المدينة**" وأن تنشرها بين الناس، مع شروح وافية لها من اساتذه التاريخ وعلماء الحضارة والاجتماع وتقدمها للناس بسعر زهيد يكون فى متناول الجميع...."[2].

وقد أكد هذه المعانى الرئيس محمد حسنى مبارك فى خطابه الهام فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف مساء يوم ١٦/٧/ ١٩٩٧ إذا قال إن المسلمين فى كل العصور "**عاشوا جنباً إلى جنب مع غيرهم من أتباع الديانات الأخرى بسماحة مطلقة وشعور تام بأن الدين لله وحده، وقد سن الرسول**

---

[1] محمد متولى الشعراوى ـ يوميات الأخبار ـ صحيفة الأخبار ـ ١٩٩٣/٧/٩.

[2] محمد متولى الشعرواى ـ يوميات الأخبار ـ صحيفة الأخبار ـ ١٩٩٣/٧/١٦.

العظيم منهجاً بالغ السمو والرقي في هذا الشأن حين نص في أول عهد أبرمه مع أهل الذمة حين هاجر إلى المدينة، وهو العهد الذى سمى بالصحيفة، ونص فيه على ... أن لليهود دينهم وللمسلمين دينهم،... كما حرص الرسول الكريم على تأكيد هذه المعاني السامية في أحاديثه، فقال : من آذى ذمياً فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة" وقال : "من ظلم معاهداً أو انقصه حقه أوكلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس، فأنا خصمه يوم القيامة" بل إن الخالق سبحانه وتعالى لا يقصر الحماية على أهل الذمة، بل إنه قررها للمشركين، حين قال فى كتابه العزيز ﴿**وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه**﴾ (التوبة ـــ ٦). ثم أضاف الرئيس مبارك قوله : "**إن المصريين جميعاً سواء أمام القانون، وإن الدستور يحمى هذه المساواة ويضعها فوق كل اعتبار، لأن أساس الانتماء للدولة هو "المواطنة" ولا شيء غير المواطنة**"[1].

وكان الأستاذ جمال بدوى قد كتب : "لقد كانت دولة المدينة هى البوتقة التي جمعت كل العناصر والأديان فتعايشت في أمن وسلام بمقتضى الدستور الذي وضعه النبى ﷺ ونص فيه نصا صريحا على حرية العقيدة للجميع، بمن فيهم المشركون وغير المسلمين، واعتبارهم من مواطنى الدولة الإسلامية، لهم حق "المواطنة" فى المجتمع الجديد، وحل الانتماء "الوطنى" محل الانتماء "القبلى"[2].

استيعاب عمرو بن العاص لدرس الصحيفة :

الحقيقة التي سجلها التاريخ هى أن حكام المسلمين (باستثناء قلة منهم حكموا فى عهود الضعف والتدهور) قد التزموا بالمبدأ الذى قررته صحيفة المدينة، بحيث عاش غير المسلمين جنباً إلى جنب مع المسلمين، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين.

---

(١) جميع الصحف الصباحية الصادرة يوم ١٩٩٧/٧/١٧.

(٢) جمال بدوى ــ وماذا بعد أعمال القتل والنسف؟ ــ صحيفة الوفد ـ ١٩٩٤/٣/١٠.

وعلى سبيل المثال، فعندما جاء عمرو بن العاص فاتحاً لمصر، وضع نصب عينيه المبدأ الذى أرسته **"صحيفة المدينة"**، ولذلك بادر إلى إعادة البابا بنيامين ـــ بطريرك الأقباط ـ إلى كرسيه بعد أن كان هارباً فى الصحراء عدة سنين من ظلم الرومان المسيحيين بسبب الخلاف المذهبى الذى كان محتدماً فى ذلك الوقت حول طبيعة السيد المسيح[1].

وكتاب "السِنِكْسار" ـ وهو الكتاب الذى يسجل يوميات القديسين ويُقْرَأ أثناء الصلوات بالكنيسة ـ جاء به أنه فى اليوم التاسع من شهر طوبة (١٧ يناير) تحتفل الكنيسة بذكرى البابا بنيامين، ويروى "السِنِكْسار" أن العرب جاءوا إلى مصر وفتحوها بقيادة عمرو بن العاص، ثم يقول **"وقرَّب عمرو رؤساء القبط منه وأحسن معاملتهم"** فاتجه الأقباط " إلى إصلاح شئون الكنيسة التى كان قد اختل نظامها وتفرَّق شملها، فقَدِموا إلى ابن العاص وأعلموه بخبر اختفاء البابا بنيامين طالبين عودته إلى كرسيه، فاستدعاه **ومنحه الحرية الدينية وأعاد له الكنائس التى كان قد اغتصبها البطريرك الملكى (البيزنطى) وأمر أن يتصرف فى أمورها كما يريد، فاستطابت لذلك قلوب المسيحيين وشكروا حسن صنيع عمرو إليهم**"[2].

ويعلق الأستاذ الكبير عبد الرحمن الشرقاوى، على هذا اللقاء الودى، فيقول "... **وقرَّب عمرو إليه البطريق بنيامين حتى لقد أصبح من أعز أصدقائه عليه،** واطمأن العرب الفاتحون فى مصر .. وخطبهم أميرهم عمرو بن العاص فى أول جمعة صلاها بجامعه بالفسطاط فقال .... استوصوا بمن جاوركم من القبط خيراً، فإن لكم فيهم ذمة وصهراً، فكفوا أيديكم، وعفّوا، وغضوا أبصاركم..."[3].

---

(١) يراجع فى تفصيل ما سجله المؤرخون بشأن اللقاء الأول بين الإسلام والمسيحية فى مصر، كتابنا : معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى ـ ص ١٣٣ وما بعدها.

(٢) كتاب الصادق الأمين فى أخبار القديسين (السِنِكْسار) المستعمل بكنائس الكرازة المرقسية، نشره الايغومانس فيلوثاؤس المقارى والقس ميخائيل المقارى ـــ الجزء الأول ـ الطبعة الأولى سنة ١٦٢٩ للشهداء ـ ص ٢٨١.

(٣) عبد الرحمن الشرقاوى ـ الفاروق ... ص٢٤٧.

اعتناق الإسلام لم يكن وليد إكراه :

يرى بعض المؤخين أن المصريين لم يتحولوا إلى أغلبية مسلمة إلا فيما بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر، رغم أن الفتح العربى الإسلامى لمصر قد تم فى سنة ٦٤٠م[١]. وهذا دليل قاطع على تعايش الديانتين ــ الإسلام والمسيحية ــ مئات السنين داخل آلاف العائلات، وأن التحول إلى الإسلام قد تم بدون اكراه من الحكام المسلمين.

وفى هذا الصدد كتب الدكتور غالى شكرى : "الأقباط عاشوا فى العصور الإسلامية المختلفة حتى الوقت الراهن، مما يبرهن على أن الإسلام ــ بالرغم من فترات الاضطهاد التى لم ينجُ منها المسلمون أنفسهم ــ قد حافظ فى النهاية على الوجود القبطى ضمن النسيج المصرى العام، وهو أمر كان من شأنه إغناء مكونات الوطنية المصرية"[٢].

ومن ناحية أخرى ذهب جمهور المؤرخين إلى أنه فى أعقاب الفتح الإسلامى "كان اعتناق الإسلام بالنسبة لمسيحى مصر والشام حينئذ مخرجاً مريحاً من متاهة المذاهب المتضاربة ومشاكل الطبيعة الواحدة والطبيعتين، حتى أن بعض المسيحيين لم يكونوا يرون فى الإسلام ــ إذا ذاك ــ إلا مذهباً جديداً من مذاهب المسيحية، ولهذا لم يكن الانتقال إلى الإسلام يشكّل فى نظر الكثيرين منهم خروجاً من دين إلى دين"[٣].

---

(١) طاهر عبد الحكيم ــ الشخصية الوطنية المصرية ــ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦ ــ دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ــ ص ٩٧.

(٢) غالى شكرى ــ الأقباط فى وطن متغير ــ دار الشروق ــ سنة ١٩٩٢ ــ ص ٨.

(٣) محمود سلام زناتى ــ تاريخ القانون المصرى ــ دار النهضة العربية ــ سنة ١٩٧٣ ــ ص ٤٣٩. ولمزيد من التفاصيل انظر كتابنا. فى معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى ــ ص ٧٧ وما بعدها.

الفصل الثانى

المحبة فى العقيدة المسيحية

تقسيم :

سنقسم هذا الفصل إلى المباحث الثلاثة الآتية :

المبحث الأول : دين المحبة.

المبحث الثاني : علاقة الإنسان بخالقه.

المبحث الثالث : المحبة هى جماع الفضائل كلها.



المبحث الأول

دين المحبة

الله محبـــــة :

إن الفهم الصحيح لأية ديانة ينبغى أن يكون من داخلها وبمنطقها[1]. وما أفهمه من الديانة المسيحية ، هو أن أساسها الذى تبنى عليه جميع مبادئها وتعاليمها يتركز فى عبارة "**الله محبة**" ولذلك جاء فى الكتاب المقدس "... ومن لا يحب لم يعرف الله لأن الله محبة...." (١- يوحنا ٤:٨).

وفى هذا الصدد يقول قداسة البابا شنودة الثالث : "المحبة الكلية هى الله نفسه. الله هو الحب الكلى .. الحب الذى لا يحد ، الذى كله قداسة. لذلك من ليس فيه حب، ليس الله فيه، فقد جاء فى الكتاب المقدس "اللــه محبـــة، ومن يَثْبُت فى المحبة يَثْبُت فــى الله والله فيه"(١ يوحنا ٤:١٦) "[2].

كذلك يقول القس برسوم شحاته : "المحبة ليست صفة ذاتية أو أدبية فى الجوهر الإلهى ..وإنما هى ذات طبيعة الله... كله تعالى إسمه محبة، والمحبة بلاشك هى النور المشرق القائم بذاته فى ذاته ، لا يختلط أويخالطه ظلام البتة... ومن ثم كانت المحبة أزلية قديمة كائنة فيه ومعه وله منذ الأزل... كذلك يتعين على وجه اليقين أن تكون المحبة أبدية كذلك..." [3].

محبة الله وخَلْق الإنسان :

ولأن الله محبة، فقد خلق كل شىء فى هذا الكون قبل أن يخلق الإنسان، وذلك لأنه سبحانه قد شاء أن يجعل الإنسان سيداً للخليقة كلها، فخلقه بطريقة

---

(١) وليم سليمان قلادة ــ المسيحية والإسلام على أرض مصر ــ كتاب الحرية ـ ٩ ـ الطبعة الأولى ــ فبراير سنة ١٩٨٦ ص ٢٦.

(٢) البابا شنودة الثالث ــ مقال "المحبة" صحيفة "وطنى" فى ١٩٩٢/٧/١٢.

(٣) القس برسوم شحاته ــ روعة الحب ــ صحيفة "وطنى" فى ١٩٨٧/٦/٢٨.

مغايرة لطريقة خلق سائر الكائنات الأخرى. ويروى سفر "التكوين" طريقة خلق الإنسان فيقول : ".... وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا ... فخلق الله الإنسان على صورته . على صورة الله خلقه . ذكراً وأنثى خلقهم. وباركهم الله وقال لهم أثمرو وأكثروا واملأوا الأرض وأخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض..." (التكوين ـــ ١:٢٦-٢٨). وجاء به أيضاً : "وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض. ونفخ فى أنفه نسمة حياة. فصار آدم نفساً حية..." (التكوين ـ ٢:٧).

فالإنسان ـ دون سائر المخلوقات الأخرى ـ قد خلقه الله سبحانه وتعالى على صورته ومثاله، ونفخ فيه نسمة منه. وبذلك يكون جنس الإنسان ـ أصله ـــ خارجاً عن نفسه، على عكس سائر الكائنات الخاضعة للحتمية الطبيعية. وبعبارة أخرى فإن الإنسان ـ نظراً لكونه مخلوقاً من التراب ـ فإنه يخضع لحتمية القانون الطبيعى إذ هو جزء من الطبيعة، ولكنه ـ فى نفس الوقت ـ نفحة من روح الله، وبذلك يتجاوز هذه الحتمية بجوهره. وهذه العقيدة ـــ كما يقول المستشار الدكتور وليم سليمان قلادة ـ "هى التعبير الدينى عما يشعر به كل إنسان من نقص فى الواقع الراهن، وطموح عارم إلى تغييره إلى ما هو أحسن"[١].

فالله سبحانه وتعالى ـ لأنه الحب الكلى ـــ خلق الإنسان لينعم بالحياة ويتمتع بالوجود وليكون سيداً للخليقة كلها . أى أن الله قد خلق الإنسان من أجل الإنسان، لأن الله ـ جلت قدرته ـ ليس محتاجاً لتمجيد أو عبادة من الإنسان أومن الملائكة [٢].

وهذا المعنى تؤكده صلاة القداس فى الكنيسة إذ يقول الكاهن :

"قدوس أنت أيها الرب، وقدوس فى كل شىء

"وبالأكثر مختار هو نور جوهريتك

---

[١] وليم سليمان قلادة ـ المرجع السابق ـ ص ٣٥.

[٢] البابا شنودة الثالث ـ لماذا خلق الله الإنسان ـ سنوات مع أسئلة الناس ـ جـ ٢ ص٩.

"وغير موصوفة هى قوة حكمتك

"وليس شيء من النطق يستطيع أن يحد لجة محبتك للبشر

"خلقتنى إنساناً كمحب للبشر

"ولم تكن أنت محتاجاً إلى عبوديتى

"بل أنا المحتاج إلى ربوبيتك

" من أجل تعطفاتك الجزيلة كونتنى إذ لم أكن

"أقمت السماء لى سقفاً

"وثبَّت لى الأرض لأمشى عليها

"من أجلى ألجمت البحر

"من أجلى أظهرت طبيعة الحيوان

"أخضعت كل شيء تحت قدمىّ

"لم تدعنى معوزاً شيئاً من أعمال كرامتك

"أنت الذى جبلتنى ووضعت يدك علىّ

"وكتبت فىّ صورة سلطانك

"ووضعت فىّ موهبة النطق

"وفتحت لى الفردوس لأتنعم

"وأعطيتنى علم معرفتك......"

وفى هذا المعنى أيضاً يقول القديس أوغسطينوس "... إلهى... لقد أخضعت كل شيء تحت قدمى الإنسان، حتى يمكنه أن يتكرس بكليته لك. لهذا لم تُقِم عليه سيداً سواك، بل جعلته هو سيداً على خليقتك. خلقت كل شيء من أجل جسده، وأوجدت جسده من أجل روحه، وروحه من أجلك أنت ...." [1].

---

[1] مشار إليه فى كتاب "بستان الروح" للأنبا يؤانس أسقف الغربية ـ جـ ٣ ص ١٥.

المبحث الثانى

علاقة الإنسان بخالقه

ابن الله :

نظراً لأن الله محبة، وأنه ـ سبحانه ـ قد خلق الإنسان من أجل الإنسان وحباً فيه، فإن العقيدة المسيحية تذهب إلى أن الناس جميعاً أولاد الله، لأنهم من آدم، وآدم ـ كما جاء فى إنجيل لوقا ـ هو "ابن الله" (إنجيل لوقا ٣:٣٨). والله "صنع من دم واحد كل أمة من الناس يسكنون على كل وجه الأرض" (أعمال الرسل ١٧:٢٦).

وإذن فالديانة المسيحية تؤمن بأن علاقة الإنسان بخالقه كعلاقة الابن بأبيه. ولذلك كان السيد المسيح يحدّث الجموع عن الله بقوله: "....أبوكم السماوى". وعندما طلب منه الناس أن يعلمهم الصلاة قال لهم : "...صلوا أنتم هكذا. أبانا الذى فى السموات. ليتقدس اسمك... إلخ" (إنجيل متى ٦:٩، إنجيل لوقا ١١:٢) [١].

كذلك جاء بالكتاب المقدس فى رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية : "... لم نأخذ روح العبودية أيضاً للخوف بل أخذتم روح التبنى الذى به نصرخ يا أبا الآب" (رومية ٨:١٥). كما جاء فى رسالة يوحنا الرسول : "انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله" (١-يوحنا ٣:١).

ومن هذا المنطلق فإن العقيدة المسيحية تؤمن بأن الله يحب الإنسان حباً جماً يفوق حب الأب لأبنه ، ويعتنى بكافة شئونه ويدبر حياته كما يليق [٢].

---

(١) وفى الإسلام جاء فى الحديث النبوى الشريف : "الخلق عيال الله، وأحب الناس إلى الله أنفعهم لعياله" ـ انظر : خالد محمد خالد ـ معاً على الطريق : محمد والمسيح ـ كتاب اليوم ـ ص ٦٥.

(٢) والديانة المسيحية ترى أن محبة الله للإنسان لم تتوقف عند مرحلة خلق آدم (وهى الخليقة الأولى) وإنما يواصل الله ـ سبحانه ـ كرمه وعطاءه وذلك بمجىء "كلمة الله" فى شخص السيد المسيح. ولذلك ترى=

وقد بيَّن السيد المسيح للجموع محبة الله للإنسان ومدى عنايته به بقوله: **"انظروا إلى طيور السماء. إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن. وأبوكم السماوى يقوتها. ألستم أنتم بالحرى افضل منها. ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعاً واحدة. ولماذا تهتمون باللباس. تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو. لاتتعب ولاتغزل. ولكن أقول لكم إنه ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها. فإن كان عشب الحقل الذى يوجد اليوم ويطرح غداً فى التنور (الفرن) يلبسه الله هكذا، أفليس بالحرى جداً يلبسكم أنتم ياقليلى الإيمان..."** (إنجيل متى ٦:٢٦-٣٠).

وفى موضع آخر يقول : **"أليس عصفوران يباعان بفلس، وواحد منهما لا يسقط على الأرض بدون أبيكم. أما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة. فلا تخافوا. أنتم أفضل من عصافير كثيرة ..."**(إنجيل متى ١٠:٢٩-٣١).

ولأن الناس جميعاً ــ حتى الخطاة ــ يعتبرون أولاد الله، فإنه "... **يكون فرح فى السماء بخاطىء واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة"** (إنجيل لوقا ١٥:٧). والأمثال التى ضربها السيد المسيح عن الخروف الضال الذى يفرح به صاحبه عندما يعثر عليه، والدرهم المفقود الذى وجدته صاحبته، والابن العاق الذى عاد نادماً إلى أبيه ففرح به وذبح له العجل المسمن (انظر إنجيل لوقا ١٥:١-٣٢)، هى أدلة قاطعة على مدى مغفرة الله سبحانه ــ الأب السماوى ــ لجميع الخطاة.

= الديانة المسيحية أن مجىء السيد المسيح هو بداية **"خليقة جديدة"** (٢- كورنثوس ٥:١٧ وغلاطية ٦:١٥) أو هو **"الميلاد الثانى"** (١- بطرس ١:٢٣) - انظر مزيداً من التفصيل فى : وليم سليمان قلادة ــ المرجع السابق ــ ص ٤٨-٥٠.

ولما غضب اليهود لأن السيد المسيح كان يجلس مع الخطاة ويؤاكلهم، قال لهم : "...**لايحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى... لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة**" (إنجيل متى ٩:١٢-١٣).

بل إن الله المحب القادر على كل شيء، من فرط حبه للإنسان، قد منحه الحرية فى طاعته أو عصيانه[1].

[1] وليم سليمان قلادة ــ المرجع السابق ــ ص ٢٦.

المبحث الثالث

المحبة هى جماع الفضائل كلها

الإنسان ـ أيضاً ـ محبة :

الله محبة

والإنسان خُلِق على صورة الله ومثاله

إذن ، ينبغى أن يكون الإنسان ـ أيضاً ـ محبة[1]

ولذلك ففى العقيدة المسيحية لايمكن للإنسان أن يعرف الله ـ وبالتالى لايمكنه عبادته ـ إلا إذا أحب الله، وأحب أخاه فى الإنسانية الذى هو مخلوق على صورة الله ومثاله.

والمحبة ـ فى الديانة المسيحية ـ هى جماع الفضائل كلها، فعندما سئل السيد المسيح عن أية وصية هى العظمى فى الناموس، قال : "... **تحب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نَفْسِك ومن كل فكرك. هذه هى الوصية الأولى والعظمى. والثانية مثلها. تحب قريبك (أى أخاك فى الإنسانية) كنَفْسِك. بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء**" (انجيل متى ٢٢:٣٥-٤٠).

وجاء بالكتاب المقدس على لسان بولس الرسول :"**من أحب غيره فقد أكمل الناموس....فالمحبة هى تكميل الناموس**" (رومية ١٣:٨,١٠). وقال أيضاً : "**بالمحبة اخدموا بعضكم بعضاً . لأن كل الناموس فى كلمة واحد يُكْمَل. تحب قريبك (أى الإنسان بوجه عام) كنَفْسِك**" (غلاطية ٥:١٣,١٤). وقال أيضاً "...**ألبسوا المحبة التى هى رباط الكمال**..."(كولوسى ٣:١٤).

---

[1] البابا شنودة الثالث ـ مقال "وأيضاً ... المحبة" صحيفة وطنى فى ١٩٩٢/٧/١٩، وليم سليمان قلادة ـ المرجع السابق ـ ص ٤٤.

ويلاحظ أن كلمة "القريب" فى الديانة المسيحية، تشمل البشر جميعاً. وفى بيان هذا المعنى كتب قداسة البابا شنودة الثالث :"....كان اليهود يفهمون معنى كلمة قريب بطريقة عنصرية، فتعنى إخوتهم اليهود، ولذلك كانوا يكرهون كل من ليس يهودياً، وكانوا يعدون عن سائر الشعوب على اعتبار أنهم كفار ويسمونهم (الأمم) ... ولكن السيد المسيح حطم هذه الفكرة العنصرية ... **فكلمة قريب تعنى البشرجميعاً ، فكلهم أقرباء، وكلهم أبناء لآدم وحواء، إذن "تحب قريبك" معناها أن تحب كل إنسان** ... ومعنى كلمة "تبغض عدوك" فى شرح السيد المسيح هو عدوك الوحيد وهو الشيطان.... "[1].

الطريق إلى معرفة الله :

فى العقيدة المسيحية أن الطريق إلى معرفة الله والثبات فيه ومحبته هو أن يحب الإنسان أخاه الإنسان. "**أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضاً لأن المحبة هى من الله وكل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله**" (١- يوحنا ٤:٧). "**الله لم ينظره أحد قط. إن أحب بعضنا بعضاً فالله يثبت فينا ومحبته قد تكمَّلت فينا**" (١- يوحنا ٤:١٢).

ويؤكد الكتاب المقدس أن الإنسان لا يستطيع أن يحب الله إلا إذا أحب أخاه فى الإنسانية أولاً : "**إن قال أحد إنى أحب الله وأبغَضَ أخاه فهو كاذب. لأن من لايحب أخاه الذى أبصره كيف يقدر أن يحب الله الذى لم يبصره. ولنا هذه الوصية منه أن من يحب الله يحب أخاه أيضاً**" (١- يوحنا ٤:٢٠-٢١).

وفى هذا الصدد يقول قداسة البابا شنوده الثالث :"**إن الدين هو رحلة حب نحو قلب الله، تَعْبُر فى طريقها على قلوب الناس. والمحبة هى الرباط المقدس الذى يربط الناس بالله. إنها جوهر الدين والتدين. ونحن لا نستطيع أن نصل إلى محبة الله دون أن نحب الناس.** وهذا ما أكده الكتاب المقدس إذ جاء به

---

[1] البابا شنودة الثالث ـ مقال "جاء المسيح يصحح مفاهيم اليهود ويقدم تعليماً روحياً سامياً" ـ صحيفة الأهرام ـ ١٩٩٣/١/٧.

"من لايحب أخاه الذى أبصره كيف يقدر أن يحب الله الذى لم يضره (١يوحنا ٤: ٢٠) ... والمحبة هى خروج من الذات إلى الغير، بحيث تنسى ذاتك وتذكر غيرك. تخرج من "الأنا" فلا تسمح لها أن تحصرك داخلها. فلا تعيش داخل الأنا، وإنما داخل قلوب الناس. **تحيا لأجل الغير، وترى خيره قبل خيرك. وهكذا تحب الغير، وتحب له الخير**"[1].

المحبة تشمل الناس كافة حتى الأشرار والأعداء :

تعاليم المسيحية كلها تؤكد أن المحبة يجب أن تشمل الناس كافة، حتى الأشرار والأعداء. فقد قال السيد المسيح فى عظته على الجبل : "...**أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم . أحسنوا إلى مبغضيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم.** لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات. فإنه يُشرق شمسه على الأشرار والصالحين. ويمطر على الأبرار والظالمين. لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم. أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك. وإن سلمتم على إخوتكم فقط فأى فضل تصنعون. أليس العشارون أيضاً يفعلون هكذا...." (إنجيل متى ٥: ٤٤-٤٧).

وقال أيضاً : "**كما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا أنتم أيضاً بهم هكذا**...." (إنجيل لوقا ٦: ٣١).

وقال أيضاً : "هذه هى وصيتى أن تحبوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم ... أنتم أحبائى إن فعلتم ما أوصيكم به... بهذا أوصيكم حتى تحبوا بعضكم بعضاً" (إنجيل يوحنا ١٥: ١٢-١٧).

وعن التسامح ــ الذى هو من ثمار المحبة ــ قال السيد المسيح: "...**لا تقاوموا الشر. بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً. ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً. ومن سخرك ميلاً واحداً**

---

(١) البابا شنودة الثالث ــ مقال "المحبة" ــ صحيفة وطنى فى ١٩٩٢/٧/١٢.

فاذهب معه اثنين. ومن سألك فأعطه. ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده" (إنجيل متى ٥:٣٩ ٤٢)[1].

وفي الصلاة الربانية التي علمها السيد المسيح للجموع، جاء بها: **"....واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا..."** (انجيل متى ١٢:٦). وأضاف السيد المسيح قوله للجموع: "...فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوى. وإن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفرلكم أبوكم أيضاً زلاتكم" (انجيل متى ٦:١٤-١٥).

وتقدم القديس بطرس إلى السيد المسيح وسأله قائلاً:"....**كم مرة يخطىء إليَّ أخي (أي الإنسان بوجه عام كما سلف البيان) وأنا أغفر له. هل إلى سبع مرات. قال له يسوع لا أقول لك إلى سبع مرات بل إلى سبعين مرة سبع مرات...**" (انجيل متى ١٨:٢١-٢٢).

وجاء بالكتاب المقدس : "...**من لا يحب أخاه يبقَ في الموت. كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس. وأنتم تعلمون أن كل قاتل نفس ليس له حياة أبدية**... (١- يوحنا ٣:١٤-١٥).

وواضح مما سبق أن المسيحية تضع مسئولية كبرى على كاهل المنتمين إليها، فلا يعد الشخص مسيحياً حقاً إلا إذا امتلأ قلبه بمحبة الله ومحبة جميع الناس حتى الأشرار والأعداء.

---

[1] ويلاحظ أن السيد المسيح لم يكن يقصد المعنى الحرفى لهذه الأمثلة التى ضربها، وإنما كان يقصد التسامح والصفح، والدليل على ذلك أن المسيح نفسه قد تعرض لحادث لطمه على خده أثناء محاكمته أمام رئيس كهنة اليهود، إذ جاء بإنجيل يوحنا: "...**لطم يسوع واحداًمن الخدام كان واقفاً قائلاً أهكذا تجاوب رئيس الكهنة. أجابه يسوع إن كنت قد تكلمت ردياً فاشهد على الردى وإن حسناً فلماذا تضربنى**" (انجيل يوحنا ١٨:٢٢-٢٣). وواضح أن السيد المسيح لم يحوِّل للخادم خده الآخر، وإنما قال له لماذا تضربنى.

سمات محبة الإنسان للإنسان:

بيَّن الكتاب المقدس سمات محبة الإنسان لأخيه الإنسان، فجاء به:-

"المحبة تتأنى وترفق

"المحبة لاتحسد

"المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ

"ولا تقبح

"ولا تطلب ما لنفسها

"ولاتحتد

"ولا تظن السوء

"ولا تفرح بالإثم بل تفرح بالحق

"وتحتمل كل شيء

"وتصدق كل شيء

"وترجو كل شيء

"وتصبر على كل شيء

"المحبة لا تسقط أبداً" (١-كورنثوس ١٣:٤-٨).

وإذن، فمحبة الإنسان لأخيه الإنسان ينبغى أن تكون بالفعل لا بالقول، وبالعمل الصالح والمعاملة الطيبة. لذلك جاء فى الكتاب المقدس: ".. **من كان له معيشة العالم ونظر أخاه** (أى الإنسان بوجه عام) **محتاجاً وأغلق أحشاءه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه. يا أولادى لا نحب بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق....**" (١- يوحنا ٣:١٧-١٨).

وجاء به أيضاً :" ما المنفعة يا إخوتى إن قال أحد إن له إيماناً ولكن ليس له أعمال. هل يقدر الإيمان أن يخلصه . إن كان أخ وأخت عريانين ومعتازين للقوت اليومى . فقال لهما أحدكم امضيا بسلام استدفئا واشبعا ولكن لم تعطوهما حاجات الجسد فما المنفعة . هكذا الإيمان أيضاً إن لم يكن له أعمال ميت فى ذاته" (يعقوب ٢:١٤-١٧).

ويقدم السيد المسيح حواراً بسيطاً يصور فيه محاسبة البشر يوم القيامة، حين تتجمع الشعوب أمام الله تعالى، فيقول للصالحين إنهم الوارثون للملكوت المعد لهم. ويفصِّل سبب ذلك :

"لأني جعت فأطعمونى. عطشت فسقيتمونى. كنت غريباً فآويتمونى. عرياناً فكسوتمونى. مريضاً فزرتمونى. محبوساً فأتيتم إليّ. فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين. يارب متى رأيناك جائعاً فأطعمناك. أو عطشاناً فسقيناك. ومتى رأيناك غريباً فآويناك. أو عرياناً فكسوناك. ومتى رأيناك مريضاً أومحبوساً فأتينا إليك. فيجيب المَلِك ويقول لهم الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد إخوانى هؤلاء الصغار فبى فعلتم" (انجيل متى ٢٥:٣٥-٤٠).

ثم يقول أيضاً للأشرار :

"إذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية... لأنى جعت فلم تطعمونى. عطشت فلم تسقونى. كنت غريباً فلم تأوونى. عرياناً فلم تكسونى. مريضاً ومحبوساً فلم تزورونى. حينئذ يجيبونه هم أيضاً قائلين يارب متى رأيناك جائعاً أوعطشاناً أو غريباً أو عرياناً أومريضاً أو محبوساً ولم نخدمك. فيجيبهم قائلاً الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الصغار فبى لم تفعلوا..." (انجيل متى ٢٥:٤١-٤٥)[1].

---

(١) ويلاحظ أنه قد جاءت فى التعاليم الإسلامية رواية شبيهة بتلك التى جاءت فى الانجيل، إذ يقول الأستاذ فهمى هويدى فى كتاب "التدين المنقوص ــ ١٩٨٧ " إنه : "فى الحديث الذى رواه مسلم عن النبى ﷺ أن الله عز وجل يقول يوم القيامة : يا ابن آدم، مرضت فلم تعدنى.

قال : يارب، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟

قال : أما علمت أن عبدى فلاناً مرض فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده؟.

يا ابن آدم : استطعمتك فلم تطعمنى!

قال : يارب ، كيف أطعمك وأنت رب العالمين؟

قال : أما علمت أنه استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى؟

يا ابن آدم ، استسقيتك فلم تسقنى؟

فهذا الحوار يلقى على الإنسان مسئولية عظمى حين يتعامل مع أخيه الإنسان، إذ ينبغى أن يتسم تعامله معه بالمحبة والمودة والرحمة.

الغاية من جميع وصايا الله :

العقيدة المسيحية تؤمن بأن المحبة هى الغاية من جميع وصايا الله، إذ جاء بالكتاب المقدس :**"أما غاية الوصية فهى من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء"**. (١- تيموثاوس ١:٥). كما جعلها أعظم من الإيمان والرجاء، فقال :**"أما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة هذه الثلاثة ولكن أعظمهن المحبة "** (١- كورنثوس ١٣:١٣). وفى شرح ذلك يقول بولس الرسول : **"إن كنت أتكلم بالسنة الناس والملائكة ولكن ليس لى محبة فقد صرت نحاساً يطن أوصنجاً يرن. وإن كانت لى نبوة وأعلم جميع الأسرار وكل علم. وإن كان لى كل الإيمان حتى أنقل الجبال ولكن ليس لى محبة فلست شيئاً. وإن أطعمت كل أموالي. وإن سلمت جسدى حتى احترق ولكن ليس لى محبة فلا انتفع شيئاً...."** (١- كورنثوس ١٣:١-٣).

ويعلق قداسة البابا شنودة الثالث على ذلك بقوله : ما أعجب هذه المحبة التى هى أعظم من الإيمان الذى ينقل الجبال[1].

- قال : يارب، كيف اسقيك وأنت رب العالمين؟ قال : استسقاك عبدى فلان فلم تسقه. أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى.

ويعلق الأستاذ فهمي هويدى على هذا الحديث بقوله : "هذا الحديث لا ينبغى أن يحمل فقط بحدود عيادة المرضى وإطعام الجائعين وسقاية الظمآنين، فتلك رموز لمسئولية المسلم تجاه غيره . الأمر الذى نستطيع أن ندرج معه عديداً من المسئوليات والتكاليف الأخرى. والأمر البالغ الأهمية فى الحديث أنه يقول للمسلمين ضمناً، إن الطريق إلى الله ليس فقط فى الصلاة والصوم والزكاة والأدعية والأذكار. كما أنه يقول لهم صراحة إن الله سبحانه وتعالى ليس بعيداً كما يزعم الزاعمون، وليس منفصلاً عن حياة الناس وهمومهم كما يصور لنا أولئك الذين انعزلوا عن واقعنا بحجة أن قلوبهم تعلقت بالسماء..." (فهمى هويدى ـ التدين المنقوص ـ المرجع السابق ـ ص ١٣٠ ـ ١٣١).

[1] البابا شنودة الثالث ـ مقال "المحبة" صحيفة وطنى فى ١٩٩٢/٧/١٢ وجاء فى هذا المقال:"إن المحبة لابد أن تتخلل كل فضيلة. فالفضيلة الخالية من المحبة ليست فضيلة حقيقية. عطاؤك للفقير ـ مثلاً ـ إن لم تكن فيه محبة فهو ليس شيئاً. وخدمتك إن كانت خالية من الحب، لاتكون خدمة مقبولة، كذلك صلاتك يجب أن تمتزج بالحب....".

الخلاصة :

خلاصة القول أن المسيحية هى دين المحبة، لأن الله محبة. والطريق إلى معرفة الله وعبادته والثبات فيه هو طريق المحبة. ولايستطيع الإنسان أن يحب الله إلا إذا أحب أخاه فى الإنسانية أولاً، إذ لا تكتمل ديانة المسيحى بغير المحبة، لأن "المحبة هى تكميل الناموس" (رومية ١٣:١٠).

والمسيحية تضع مسئولية كبرى على عاتق المنتمين إليها، لأن المحبة ــ التى هى جماع الفضائل كلها ــ يجب أن تشمل الناس كافة، حتى الأشرار والأعداء.

كما أن محبة الناس كافة لاتكون "... بالكلام ولا باللسان بل بالعمل والحق"(١- يوحنا ٣:١٨).

الفصل الثالث

الشعب المصرى عنصر واحد

تقسيم:

سنقسم هذا الفصل إلى المباحث الآتية :

المبحث الأول : انعدام أى خواص تميز بين المصريين

المبحث الثاني : الاقباط ليسوا أقلية

المبحث الثالث: خطأ الحديث عن القومية القبطية

المبحث الأول

إنعدام أى خواص تميز بين المصريين

خطأ تعبير عنصرى الأمة :

من الخطأ الشائع استعمال تعبير "عنصرى الأمة" للإشارة إلى شعب مصر من مسلمين واقباط، فهم فى الواقع عنصر واحد، إذ لا يستطيع أى عالم من علماء الانتروبولجى أن يحدد خواص بعينها يختلف فيها المصرى المسيحى عن المصرى المسلم، فكلاهما يحمل نفس الشكل والمظهر والعادات واللغة والتكوين النفسى. [1]

ومن الملائم فى هذا الصدد أن انقل بعض فقرات من كلمتى أمام مجلس الشعب، فى جلسته الحادية بعد المائة من دور الانعقاد الثانى من الفصل التشريعى السادس، المنعقدة صباح يوم ١٩٩٢/٧/١٥، إذا قلت فيها: " ... إن الواقع المعاش والطبيعة الجغرافية لوادى النيل المنبسط قد اديا إلى امتزاج واختلاط جميع أبناء مصر فى كل مكان، وتَشَكَّل من الشعب المصرى بمسلميه وأقباطه نسيج متين متداخل فريد فى نوعه، لا يمكن أن تخترقه أية أحداث عابرة. ويكفينى أن أقول إن الزعيم الهندى الراحل غاندى قد أبدى إعجابه الشديد بما عليه الشعب المصرى من وحدة وطنية، وتمنى أن تطبق التجربة المصرية على الشعب الهندى.

"لقد عاش المسلمون والأقباط منذ الفتح العربى وحتى اليوم كاسرة كبيرة واحدة يسودها الحب والوفاء والاخلاص فى كافة مناحى الحياة. ويبدو هذا

---

(١) ميلاد حنا ـ المرجع السابق ـ ص ٥٢.

ويرى بعض الكتّاب أن تعبير "عنصرى الأمة" من صنع الاستعمار الانجليزى، لأن المصريين جميعاً ـ مسلمين واقباطاً ـ عنصر واحد، ولكن يختلف بعضهم عن البعض فى الدين لا أكثر ولا أقل (عبد الستار الطويلة ـ أمراء الارهاب ـ كتاب اليوم ـ العدد ٣٤٢ ـ سنة ١٩٩٣ ـ ص ١٣٤).

الترابط بأجلى صوره فى الريف المصرى حيث تتعانق بيوت الاقباط مع بيوت المسلمين، ويشتركون فى معيشة واحدة فى السراء والضراء، مزجتهم وأصبح من المستحيل التفريق بينهم.

"إننى اتحدى أى شخص غريب يدخل الآن إلى قاعة هذا المجلس الموقر ويستطيع أن يميز من فينا المسلم ومن فينا المسيحى. إننا شعب واحد، ومن أصل واحد، ومن عنصر واحد، ومن الخطأ الشائع أن نستخدم تعبير "عنصرى الأمة" إذ لا يوجد سوى عنصر واحد يتكون منه كافة أبناء مصر. وقد لاحظ ذلك عميد الاستعمار البريطانى اللورد كرومر، عندما كتب قائلاً "إنه لا يوجد شئ على الاطلاق يميز بين المسلم والقبطى فى مصر، لا فى الشكل ولا فى الزى ولا فى العادات أو التقاليد أو أسلوب المعيشة، الشئ الوحيد الذى يميز بينهما هو أن المسلم يعبد الله فى المسجد والقبطى يعبد الله فى الكنيسة....."[1].

وفى هذا الصدد كتب الاستاذ الدكتور محمد سليم العوا: "..تشيع على ألسنة المتحدثين وأقلام الكاتبين ــ كلما ذكر أمر المسلمين فى علاقتهم بإخوانهم الاقباط ــ عبارة "عنصرى الأمة" وهى عبارة خاطئة وموهمة: خاطئة لأن المصريين فى حقيقة الامر عنصر واحد من وجهة نظر علم الاجناس، وهو عنصر يمثل خلاصة اختلاط مستمر وتزاوج دائم بين سكان الوادى الأصليين ومَنْ وفدوا إليه واستوطنوه من مختلف شعوب العالم. وقد أصبح هذا الاختلاط امتزاجاً وانصهاراً حتى أنه من المحال التفريق فى ابناء مصر بين أصل وأصل أو فرع وفرع. وهى عبارة موهمة لأنها توحى إلى السامع ــ على خلاف الحقيقة ــ أن هناك انفصالاً شعورياً، أوانغلاقاً اجتماعياً، أو مفارقة بيِّنة فى العادات والتقاليد والاعراف، وكل ذلك غير كائن، والايحاء به غير صحيح ..." [2].

---

[1] مضبطة الجلسة الحادية بعد المائة من دور الانعقاد الثانى من الفصل التشريعى السادس المنعقدة صباح يوم ١٩٩٢/٧/١٥ ــ ص ٢٩.

[2] محمد سليم العوا ــ الاقباط والاسلام ــ ص ١٠.

وكتبت الاستاذة الدكتـور ليلى تكـلا: "....ليس بين الاثنين ــ الاقباط والمسلمين ــ فروق فى الاصل والجنس والعرق والشكل. الاثنان يكملان بعضهما بعضاً ويتكاملان فى تـاريخ وتـراث ونسيج هـذه الأمـة الـذى هـو نسيج واحـد، خيوطه متداخلة متشابكة من الصعب التفرقة بينهـا ومـن المستحيل فصلهـا، وأى نـزاع بينهمـا لا يمكـن أن ينجـم عنـه إلا تفكـك خيـوط ذلـك النسيج وتمـزق المجتمع، وأى شقاق بينهما هو تمزيق لثوب مصر وتعرية لهـا وإهـدار لكرامتهـا، فأفراد ذلك المجتمع شعب واحد، كلهم مصريون قبل كل شئ، وانتماؤهم لمصر راسخ، وولاؤهـم لها كان وسـيظل عميقـاً، وعليهـم أن يتصـدوا معـاً لأى محاولـة لإثارة الفرقة وتمزيق هذا النسيج الذى يكونانه ويتكونـان فيـه، فهـم أقليـة وأغلبيـة عددية فقط، أى من حيث أن عدد البعض يزيد على عـدد البعـض الآخـر، وليسـوا أقلية أو أغلبية من حيث الأصل أوالتراث أو الملامح أو الأجناس، وليس بينهما أى فروق عنصرية أو انثروبولوجية، إنما هم أصل واحد وشـعب واحـد تحـدى كافـة المعتدين ... " [١]

ويقـول الأديـب الكبـير نجيـب محفـوظ فـى حواراتـه مـع الاسـتاذ محمـد سلماوى "... الحقيقة أن مصر ليس بها عنصران، فنحن عنصر واحد، نحن جميعاً من نسـل الأقبـاط لكـن بعضنـا دخـل الديـن الإسـلامى، والبعـض ظـل علـى دينـه المسيحى، وكثيراً ما كان يتزاوج هؤلاء من هؤلاء، وكنا فى جيلى نسمى أنفسنا جميعاً أقباطاً وطناً ومسلمين أو مسيحيين ديناً"[٢]

وقد ساعدت الطبيعة الجغرافية لمصـر علـى وحـدة شعبها وتداخـل جميـع أبنائها فى نسيج واحـد، فـوادى النيـل المنبسـط لا يفصـل بينـه جبـال ولا وهـاد، والصحارى الواسعة حول الوادى كانت عازلاً يجعل شعبها ينظـر إلـى الداخـل لا

---

(١) ليلى تكلا ــ مقال "الوحدة الوطنية ليست موضوعاً موسمياً" الاهرام فى ١٩٨٧/٨/١٠، انظر مقـالاً آخـر لها بعنوان "هل فى مصر عنصران للأمة" ــ الأهرام فى ١٩٩٢/٥/٣٠.

(٢) صحيفة الأهرام ــ ١٩٩٧/١٠/٢.

إلى الخارج، ويتصل بنفسه أكثر مما يتصل بسواه، "كما أن ارتباط الحياة كلها فى مصر كانت متصلة بمصدر واحد هو نهر النيل، فكان على كل سكان مصر أن يتعاونوا ويتفاهموا لا أن يتخاصموا ويتنابذوا، كما أن السهل المنبسط لم يعط مجالاً عبر التاريخ لأن تتشكل هنا أو هناك مجموعات متباينة، أو تتحصن هنا أوهناك أقلية أو أغلبية. فلا توجد فى مصر كما فى بلاد عربية كثيرة مناطق سنية ومناطق شيعية، أو مناطق مسلمة ومناطق مسيحية ..." [1].

سمات الشعب المصرى :

للشعب المصرى ــ بمسلميه واقباطه ــ نفس الخصائص والسمات الحضارية، فهو شعب يتسم بالطيبة والبساطة، والبعد عن العنف، ويتحمل الصعاب بصبر وجلد، ويرتبط بالأرض الزراعية ويتعهدها بالحرث والرى، وقد ترتب على ذلك رغبته فى الاستقرار، وولاؤه للحكومة والحاكم [2] .

لقد تشكلت فى مصر الشخصية القومية للمصرى فى إطار مكوناته أنه: متسامح ، ودود ، هادىء ، لديه تجانس طبيعى مع البيئة، وتجانس بشرى مع الأفراد، متدين، ينبذ العنف والتطرف ويلفظه [3].

ليس للأقباط تجمعات فى أماكن معينة:

ولأن الشعب المصرى ــ بمسلميه وأقباطه ــ شعب واحد، فالملاحظ أن الاقباط ينتشرون فى كل مكان فى مصر، ويعيشون جنباً إلى جنب مع أشقائهم المسلمين فى كل المدن والقرى والكفور والنجوع، فلا يمكن النظر إليهم على أنهم تَجَمُّع فى موقع جغرافى معين، مثل الاكراد فى العراق، أو الارمن فى تركيا،

---

[1] أحمد بهاء الدين ــ التدين والتعصب والانسجام الوطنى فى مصر ــ صحيفة الاهرام يوم ١٩٧٢/١١/١٩.

[2] ميلاد حنا ــ المرجع السابق ــ ص ٥٢.

[3] عاطف الغمرى ــ صحيفة الاهرام ــ ١٩٩٢/٩/٣٠.

ولمزيد من التفصيل: يراجع كتاب "شخصية مصر" للدكتور جمال حمدان.

أوالتركستان فى إيران. كذلك لم يفكر الاقباط فى يوم من الأيام أن تكون لهم تجمعات فى أماكن أو أحياء معينة (جيتو) كما فعل اليهود [1].

ويقوم الاقباط بكافة الاعمال والحرف والمهن التى يقوم بها اشقاؤهم المسلمون، ولم يقتصروا على احتراف أعمال أومهن معينة، كما فعل اليهود فى أمريكا وغيرها بالنسبة للإعلام أوالتجارة [2].

ولعل أبلغ دليل على عدم وجود تجمعات معينة للاقباط، ما كتبه الرحالة "لوسى دوف جوردون" Lucy Duff - Gordon فى النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادى عن قرية ببا (وهى الآن مركز ببا بمحافظة بنى سويف) إذ يقول: "إن أهالى ببا، ومعظمهم من المسلمين، انتخبوا جرجس القبطى عمدة لهذه البلدة.. ومما أثار إعجابى روح التسامح التى أجدها فى كل مكان، ويظهر أن المسلمين والأقباط على وئام تام، ويوجد فى ببا ثلاث عشرة أسرة قبطية مقابل عدد كبير جداً من المسلمين، ومع ذلك انتخب الأهالى جرجس عمدة لهم، وكانوا يقبّلون يده طائعين بينما كنا نمر فى طرقات القرية" [3].

---

(1) ميلاد حنا ـ المرجع السابق ـ ص ٥٧ ، أحمد الحفناوى ـ هذه الفتنة الحمقاء ـ صحيفة الجمهورية ـ ١٩٩٠/٣/٢٥، سيدة إسماعيل كاشف ـ مصر الاسلامية وأهل الذمة ـ سنة ١٩٩٣ ـ ص ١٧٠.

(2) ميلاد حنا ـ المرجع السابق ـ ص ٥٧.

(3) سيدة إسماعيل كاشف ـ المرجع السابق ـ ص ١٨ وقد أشارت إلى كتاب:

Duff-Gordon (Lucy): Lettres d'Egypte (Traduction Française - Paris) PP. 27-28.



المبحث الثانى

الأقباط ليسوا أقلية

ما يُغضِب الأقباط:

إن أشد ما يغضب الأقباط ويؤذى مشاعرهم هو الحديث عنهم أوالتعامل معهم كأقلية أو طائفة، وإنما يحلو لهم دائماً التعامل معهم باعتبارهم جزءاً لا يتجزأ من نسيج المجتمع المصرى كله، الذى انصهر فى بوتقة واحدة، وتكونت منه سبيكة متينة على مر التاريخ. ويرجع ذلك إلى أنهم أدركوا ـ منذ الفتح العربى الإسلامى الذى أنقذهم من اضطهاد الامبراطورية الرومانية المسيحية ـ أن اختلاف الدين لاينال من وحدة الدم والمصير بين أبناء مصر جميعاً. وهذا ما يفسر لماذا حارب الأقباط فى صفوف المسلمين ضد جميع الغزاة من الصليبيين والفرنسيين والانجليز والإسرائيليين وغيرهم[1].

---

[1] والحقيقة أن أقباط مصر لن ينسوا الدرس القاسى الذى تلقوه من الامبراطورية الرومانية المسيحية، وما تعرضوا له من اضطهاد مذهبى بشأن الخلاف حول الطبيعة الواحدة أوالطبيعتين للسيد المسيح، مما دفع البابا بنيامين (بطريرك الأقباط) إلى الهرب فى الصحراء لمدة اثنتى عشرة سنة، وكان هذا الاضطهاد هو ما جعل أقباط مصر يرحبون بالعرب ويساعدونهم على فتح مصر (راجع كتابنا فى معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى ـ ص ١٣٣). ولذلك لما جاءت بعد بضعة قرون جحافل الغرب تحمل شعار الصليب، لم ينخدع بذلك أقباط مصر، ورأوا فى هؤلاء المسيحيين كتائب جديدة من الجند الذين اضطهدوهم منذ القرن الرابع، ولهذا أعرضوا عن النظر إلى الغزاة على أنهم مسيحيون يربطهم بهم إيمان واحد، وانضموا إلى صفوف المسلمين، مما دفع الصليبيين إلى اصدار قانون بمنع أقباط مصر من زيارة القبر المقدس بدعوى أنهم ملحدون: انظر مقال المستشار الدكتور وليم سليمان قلادة، بعنوان "تيارات الفكر المسيحى فى الواقع المصرى" مجلة الطليعة ـ كانت تصدر عن مؤسسة الأهرام ـ س ٢ عدد ١٢ (ديسمبر سنة ١٩٦٦) ص ٨٢ ـ أنظر ايضاً: قاسم عبده قاسم ـ أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ـ الطبعة الأولى ـ سنة ١٩٧٧ ـ دار المعارف ـ ص ٩٠.

وفى هذا الصدد كتبت الاستاذة الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف: " **لم يحاول الأقباط مساعدة الصليبيين أو تفتيت وحدة الصف المصرى، كما فعل الأرمن واللبنانيون والسوريون اليعاقبة فى الشرق الاسلامى، وكما فعل المسيحيون الملكانيون، وأصبح عدو الصليبيين فى الشرق الاسلامى، المسلمين=**

وقد تنبه المستعمر البريطانى منذ مطلع هذا القرن، إلى أن أشد ما يؤذى شعور الأقباط هو التعامل معهم كطائفة، اذ نشرت صحيفة "التايمز" فى عددها الصادر بتاريخ ٢٦ يناير سنة ١٩١١ برقية لوكالة "رويتر" صادرة من القاهرة، تتحدث عن جولة المتابعة الشاملة التى قام بها المعتمد البريطانى سير الدون جورست، وكان نص البرقية: "زار سير الدون جورست، الأقاليم التى يوجد فيها أقباط، وحقق تماماً فى مسالة المظالم والشكاوى القبطية المزعومة، ولكنه اكتشف أنه لا توجد خارج القاهرة أية شكاوى ذات بال، **وأعلن أن المسلمين والأقباط يعيشون معاً بهدوء واطمئنان بصفة عامة، اذا ما تركوا وشأنهم، وان أسوأ خدمة يمكن أن نقدمها ـ يعنى الانجليز ـ للأقباط هى أن تكون معاملتهم كجماعة أو طائفة منفصلة"**[1].

والجدير بالذكر أن الدولة الاسلامية لم تطلق طوال تاريخها تعبير "الأقليات" على غير المسلمين. وفى هذا الصدد كتب الأستاذ الكبير خالد محمد خالد يقول : ... لا أذكر أن الدولة الاسلامية خلال ما يزيد على اربعة عشر قرناً، قد خلعت صفة الأقلية على غير المسلمين فيها، وانما خلع هذا الوصف الاستعمار ـ لا سيما فى مصر ـ حين زعم أنه باقٍ فى بلادنا ليحمى الأقلية، بينما كان "الصف المسيحى" الذى يعنيه بالأقلية، يسابق "الصف المسلم" فى دحض الاستعمار البريطانى ورفضه وقتل جنوده وضباطه ..."[2]

وفى حديثه لصحيفة "الأهالى" قال الدكتور غالى شكرى "الأقباط ليسوا أقلية بالمعنى الاثنولوجى، وهم أقلية عددية، لكن علم الاجتماع لا يضع اعتباراً للقلة العددية، فلكى يشعر المواطن بأنه ينتمى إلى "الأقلية" لابد أن يكون هناك

= **والأقباط. وهذا يوضح لنا أنه لما احتل الصليبيون القدس منعوا النصارى المصريين من الحج بدعوى أنهم ملحدون"** (سيدة اسماعيل كاشف ـ المرجع السابق ـ ص ١١٧ ـ ١١٨).

(١) مصطفى الفقى ـ الأقباط فى السياسة المصرية ـ دار الشروق ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥ ـ ص ٣٨.

أنظر أيضاً مقالاً له بعنوان " الوحدة الوطنية المصرية" صحيفة الأهرام ١٩٨٤/١/١٥.

(٢) خالد محمد خالد ـ قصتى مع الحياة ـ صحيفة الوفد ـ يوم ١٩٩٢/١١/١٩.

"جيتو" (لغة خاصة وبعض السمات الثقافية) لكن هذا كله غير موجود فى مصر، فالأقباط والمسلمون ينتمون إلى ثقافة واحدة بالرغم من تعدد الخصوصيات. لسنا "أقلية" بالمعنى العلمى"

ثم سئل عن مستقبل الأقباط فى مصر، فأجاب: هو نفسه مستقبل المسلمين، كأنك تسألنى عن مستقبل المصريين فى مصر[1].

وفى زيارته لقداسة البابا شنودة الثالث صباح يوم عيد الميلاد المجيد فى ١٩٩٦/١/٧، قال فضيلة الدكتور محمود حمدى زقزوق وزير الأوقاف " **إن المجتمع المصرى لا يعرف كلمة أقلية فى نسيجه، لأن مصر لا تضم بين طياتها سوى شعب واحد، ومواطنين يتمتعون بكل الحقوق بدون أية تفرقة**"[2].

ثلاث وقائع من التاريخ الحديث:

فيما يلى أشير ـ بايجاز ـ إلى ثلاث وقائع من التاريخ الحديث، تؤكد كيف يغضب الأقباط من الحديث عنهم كطائفة أو التعامل معهم كفئة معينة.

١ ـ الواقعة الأولى: تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢:

أعلن الانجليز فى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ تحفظاتهم الأربعة، ومنها أن بقاءهم فى مصر لحماية الأقليات، فكان لهذا التصريح أسوأ الأثر فى نفوس الأقباط، فثاروا عليه وأسقطوه، ووقف القمص سرجيوس فى ساحة الأزهر الشريف وقال عبارته المدوية: اذا كان الانجليز يتعللون ببقائهم فى مصر لحماية الأقباط، فليمت الأقباط وليحيا المسلمون أحراراً فى بلادهم[3].

---

(١) غالى شكرى ـ صحيفة الأهالى ـ ١٩٩٥/١٠/١١.

(٢) راجع صحيفة الأهرام يوم ١٩٩٦/١/٨

(٣) انظر : طارق البشرى ـ المسلمون والأقباط فى اطار الجماعة الوطنية ـ سنة ١٩٨٠ ـ ص ١٣٦.

وكتب الأستاذ الكبير مصطفى أمين: " ... لم تعرف مصر شيئاً إسمه الأقليات، ولا حقوق الأقليات، وعندما أراد الانجليز أن يذكروا فى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ نصاً يبيح لهم حماية الأقليات، رفض الأقباط أن يكونوا فى حماية الانجليز، وقالوا انهم فى حماية المصريين .. كل المصريين[١].

ولذلك كان مثيراً لغضب الأقباط ودهشتهم، تلك المحاولات المبذولة لدفع الكونجرس الأمريكى إلى التدخل فى شئون الأقباط. هذه المحاولات هى بالقطع مرفوضة ومآلها الفشل، فما رفضه الأقباط فى سنة ١٩٢٢ لايمكن أن يقبلوه وهم يستشرفون القرن الحادى والعشرين.

لذلك أكدت شبكة "سى . إن. إن" الأمريكية أن أقباط مصر يرفضون التدخل الأمريكى فى شئونهم وأن البابا شنودة الثالث بطريرك الأقباط فى مصر أكد أن أية مسائل متعلقة بالأقباط يجب مناقشتها فى داخل مصر، لأن هذه الأمور داخلية لاتنبغى مناقشتها خارج مصر، وأضافت الشبكة نقلاً عن بعض المراقبين قولهم أن التدخل الخارجى يعمل فقط على إثارة المواقف وإيجاد أوضاع من شأنها إحداث المزيد من التوتر[٢].

كذلك أصدرت مجموعة من الشخصيات القبطية بياناً بعنوان "بيان للأمة" اعلنوا فيه رفضهم القاطع لكل صور التدخل الأجنبى فى شئون مصر الداخلية، بدعوى الدفاع عن حقوق الأقباط المصريين، وحذّر البيان من أن هذه الحجة التى تسوقها الولايات المتحدة الأمريكية تسيء إلى مصر كلها، وإلى التاريخ الوطنى للأقباط [٣].

---

(١) مصطفى أمين ـ فكرة ـ صحيفة الأخبار يوم أول ابريل سنة ١٩٨٠.

(٢) صحيفة الأهرام ـ ١٩٩٧/١٠/٣

(٣) انظر الصفحة الأولى من الأهرام ـ ١٩٩٧/١١/١١ ـ وعندما اتصل بى الأستاذ جمال أسعد عبد الملاك، عضو مجلس الشعب السابق، وأبلغنى أن هناك مجموعة من الأقباط والمسلمين تنوى إصدار هذا البيان، لم أتردد فى وضع اسمى عليه.

وكتب الأستاذ سعيد سنبل في بابه اليومي "صباح الخير" يقول : "إن أقباط مصر .. هم مواطنون مصريون .. لهم ما لكل المصريين، وعليهم ما على كل المصريين ... لهم كافة حقوق المصريين .. وعليهم كافة واجبات المصريين. وعندما تثور قضايا تتعلق باقباط مصر، فالأمر الطبيعي أن يتم معالجة هذه القضايا في القاهرة ... لا في واشنطون! وعندما يتعرض بعض الأقباط لمشاكل أو حتى لاضطهاد ... فالأمر الطبيعي أن تناقش هذه الأمور داخل البرلمان المصري .. لا داخل الكونجرس الأمريكي ! وليس من مصلحة أي مصري ... مسلماً كان أوقبطياً ... أن يسمح لقوى خارجية بالعزف على أوتار الطائفية في مصر ... اوبمحاولة إثارة الخلافات بين الأقباط والمسلمين والانحياز لطرف ضد طرف أخر. إن أية محاولة لإثارة النزاع الطائفي في مصر .. هي في حقيقتها محاولة لإشعال النيران، وإثارة الفتن والأزمات ... وضرب الاستقرار في مصر، وتحويل ساحتها إلى ساحة حرب أهلية ... أسوة بما جرى في لبنان، والصومال، وافغانستان. وقد حاول الاستعمار البريطاني في الماضي العزف على هذا الوتر في مصر... وتنبه الأقباط إلى المؤامرة ... فقاوموها، ورفضوها ... وعندما قامت ثورة ١٩١٩ مطالبة باستقلال مصر وخروج الإنجليز... كان الأقباط هم أول من تصدَّر صفوف الثورة ... واعتقل الانجليز العديد من قياداتهم ونفوهم إلى خارج مصر، ويومها اندلعت المظاهرات التي رفعت الهلال والصليب معاً ... وهتفت بأعلى صوتها الدين لله ... والوطن للجميع . وفي هذه الأيام يقوم بعض أعضاء الكونجرس الأمريكي بإعداد تشريع جديد يقضي بقطع المعونة الأمريكية عن الدول التي تضطهد الأقليات، والمطالبة بفرض عقوبات عليها .. ويردد البعض في أروقة الكونجرس أن القانون سوف يطبق على مصر، إذا ثبت أن الأقلية القبطية في مصر تتعرض للإضطهاد.! ... وبداية .. فإن أقباط مصر يرفضون وصفهم بالاقلية ..حتى وإن كانوا أقلية عددية، كما أنهم يرفضون تماماً تدخل أمريكا أوغيرها في أية قضايا تتعلق بشئونهم، ويتمسكون بمعالجة هذه القضايا بمعرفتهم، وفي إطار وطني بحت"[1]

---

[1] سعيد سنبل ــ صباح الخير ــ الأخبار ــ ١٩٩٧/١١/١٢.

الواقعة الثانية : الأقباط رفضوا التمثيل النسبي فيالبرلمان:

عندما نالت مصر استقلالها رفض الأقباط بشدة فى اللجنة العامة المشكلة لوضع دستور سنة ١٩٢٣ أن يتضمن الدستور أى نص على التمثيل النسبى للأقباط فى البرلمان. والطريف أن بعض الذين طالبوا بهذا التمثيل النسبى كانوا من المسلمين.

وقد رفض معظم الأقباط فى اللجنة هذا الاقتراح بحجة أن فكرة تمثيل الأقليات هادمة للوحدة الوطنية وموجبة للتفريق بين أبناء الشعب[١]. كذلك عقد اجتماع كبير فى الكنيسة البطرسية يوم الجمعة ١٩ مايو سنة ١٩٢٢ ضم جميع فئات الأقباط وقرزوا بالاجماع رفض الاقتراح وارسلوا برقيات بذلك إلى جميع المسئولين فى الدولة [٢].

ومن الذين حضروا هذا الإجتماع وتحدثوا فيه : سلامة ميخائيل ، أنطون جرجس، ويصا واصف، الشيخ مصطفى القاياتى. كذلك احتج مطران اسيوط، وراعى كنيسة حارة الروم، وكثير من الجهات والهيئات بالقاهرة والأقاليم، وأعلنوا تضامن الأقباط مع المسلمين والرغبة فى "فناء الاختلافات الدينية فى الجنسية المصرية"[٣].

٣ ـ الواقعة الثالثة : مقاطعة مؤتمر الأقليات سنة ١٩٩٤:

عندما دعا مركز ابن خلدون للدراسات الانمائية لعقد مؤتمر فيالقاهرة باسم "مؤتمر الاعلان العالمي لحقوق الملل والنحل والاعراق فى الوطن العربى

---

(١) نشر الأهرام الاقتصادى ــ العدد ٩٥٣ فى ٢٠ ابريل سنة ١٩٨٧ هذه المناقشات بالتفصيل ، فى الموضوع القيم الذى أعده الاستاذ الدكتور أحمد عامر بعنوان "الفتنة الطائفية بين الأمن القومى وأمن المجتمع".

(٢) زاهر رياض ــ المسيحيون والقومية المصرية ــ سنة ١٩٧٩ ــ ص ١٦٧، رمزى ميخائيل جيد ــ الوحدة الوطنية فى ثورة ١٩١٩ ــ سنة ١٩٨٠ ــ ص ٦٨.

(٣) رمزى ميخائيل جيد ــ الوحدة الوطنية ــ المرجع السابق ــ ص ٦٨.

والشرق الأوسط"، ووضع الأقباط جنباً إلى جنب مع الأكراد فى العـراق، والبربر فى المغرب العربى، والدروز فى اسرائيل، والأرمن فى لبنان، ثار على هذا المؤتمر الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل، ونشر مقالاً بصحيفة "الأهـرام" يـوم الجمعـة ١٩٩٤/٤/٢٢ تحـت عنـوان "أقبـاط مصـر ليسـوا أقليـة، وانمـا جـزء مـن الكتلـة الانسانية الحضارية للشعب المصرى"، قال فيه: "أقبـاط مصـر ليسـوا أقليـة ضمـن أقليات العالم العربى والشرق الأوسط، لا بالمعنى العرقى مثل الأكراد فى العـراق، والبربر فى المغرب العربى، ولا بالمعنى الطائفى مثل الدروز أو الارمن فى إسرائيل أو لبنان، ولا بالمعنى الدينى وحده، وذلـك هـو سـر الخصوصيـة المصريـة طـوال التجربة الانسانية فى هذا الوطن، كما أنه سـر وحـدة وتماسـك الكتلـة الحضاريـة للشعب المصرى. ولعل تماسك هذه الكتلة الحضاريـة هـو القصـد المقصـود فـى التعبير المأثور عن اللورد كرومر المعتمد البريطـانى فـى مطـالع هـذا القـرن، وهـو صاحب سياسة "فرق تسد"، الذى لـم يتمـالك نفسـه عنـد انتهـاء خدمتـه وسـفره معزولاً، عن أن يقول: لم أجد فارقاً بين مسلم وقبطى فـى مصـر غـير أن احدهمـا يصلى فى مسجد والثانى يصلى فى كنيسة".

وأضاف هيكل فى هذا المقال: "... وكان هذا الوطن قادراً باستمرار علـى سبك كتلته الوطنية، وبها واجـه تاريخـه وكـل مـا فعلـه بـه ذلـك التـاريخ ... **إن مؤرخى مصر الكبار سجلوا خصوصية هذا الشعب الذى كان فريـداً فـى قبولـه لمطلقين دينيين فى نفس الوقت** بفضل عمليـة السـبك المتقنـة التـى جـادت بهـا عبقرية المكان ـــ والتعبير لجمال حمدان ـــ أمامك كتابات ابن الحكم والمقريـزى وابن اياس، لترى كيـف اسـتطاع شـيوخ الأزهـر وبطاركـة الكـرازة المرقسـية أن تنجزوا مهمتهم النبيلة فى الحفـاظ علـى الكتلـة الوطنيـة للشـعب المصـرى خـلال قرون مزدحمـة بالطـامعين والغـزاة، وبرغـم هـؤلاء الطـامعين والغـزاة جميعـاً فـإن المسيرة النبيلة قطعت المسافة من **"عهد الذمة"** إلى **"عهد المواطنـة"** بنجـاح عـز مثيله فى أوطان أخرى"[1].

---

[1] انظر نص المقال بالكامل فى صحيفة الأهرام ـ ١٩٩٤/٤/٢٢.

وبهذا المعنى أيضاً: مقال ابراهيم نافع ـــ بهـدوء ـــ مؤتمر الأقليات ونمـور البحوث المشبوهة ـــ صحيفة الأهرام ـ ١٩٩٤/٥/٧.

وعلى أثر نشر هذا المقال، ثـار الأقبـاط ضـد هـذا المؤتمـر، وأعلنـوا أنهـم ليسوا أقلية. وصرّح مسئول للمكتب الاعلامـى بـالمقر البـابوى أن قداسـة البابـا شنودة الثالث أعلن باسم الأقباط: نحن مصريون، جـزء مـن شـعب مصـر، ولسنا أقلية فى مصر، ولا أحب أن نعتبر أنفسنا أقلية، ولا أن يسمينا البعـض أقليـة، فكـل من عبارة أغلبية وأقلية انما تدل فى اسلوبها على التفرقة والتمييز أو التمايز بالنسـبة إلـى البعض، وهـذا لا يليـق بالنسبة لأبنـاء الوطـن الواحـد، وبخاصـة فـى مصـر المحبوبة"[١].

كذلك أصدر بعض السياسيين والمثقفين بياناً جاء فيه "الموقعون علـى هـذا البيان، انطلاقاً من مصريتهم التى هى عندهم فوق كل شئ وقبل كل شئ، يبـدون رفضهم لإقحام أوضاع المصريين الأقباط فى اطار ندوة عـن الأقليـات فـى الوطـن العربى... **إن مثل هـذه النظـرة هـى محاولـة خطـرة بـل وشـديدة الخطـر على المستقبل المصرى الواحد والخاص بأبنائه وحدهم.** وهى تَنَكُّر للتراث المصرى الخالد الذى صنعه المصريون جميعـاً وتعـاونوا معـاً فـى مواجهـة مـا اعترضـه مـن صعاب. إن أحداً من المصريين مسلمين أو أقباطاً لم ولن يقبل أن تكـون مشـكلته فى اطار وطنه محلاً لتدخل أجنبى، أياً كان الغلاف الذى يغلـف بـه هـذا التدخـل نفسه. اننا نـدرك أن بمصـر مشـكلات عديـدة اقتصاديـة واجتماعيـة، ومـن بينهـا مشاكل تتعلق بأوضـاع الأقبـاط، ولكننـا نؤكـد أن حـل هـذه المشـكلات منـوط بالمصريين وحدهـم وفـى اطـار تعـاملهم المشـترك دون أى تدخـل أجنبـى، ذلـك التدخل الذى يزيد بالحتم مثل هذه المشكلات تفاقماً ويعقدها بدلاً من أن يحلها. وستبقى مصر دوماً فوق كل خلاف أواختلاف. وسنبقى لها دوماً جنوداً وحراسـاً ضد أى تدخل أجنبى فىشأنها. وسنسعى معاً من أجل تخليص مصـر والمصرييـن من أية أخطاء أومشكلات تعترض مسيرة وحدتهم الوطنيـة ونتعهـد أن نعمـل مـن أجل مصر تكفل حقوقـاً متكافئـة لكـل المصرييـن، وأن نحمـى الشـعار المصـرى الخالد الدين لله والوطن للجميع".

---

[١] انظر نص هذا البيان فى صحيفة "الأهالى" يوم ١٩٩٤/٤/٢٧.

وقد وقع هذا البيان كل من: خالد محي الدين ـ ابراهيم فرج ـ د. أحمد الغندور ـ د. ميلاد حنا ـ جمال بدوى ـ د. رفعت السعيد ـ يونان لبيب رزق ـ منير فخرى عبد النور ـ عبد العال الباقورى ـ ماجد عطية ـ د. محمد أبو الاسعاد ـ د. فؤاد اسكندر ـ سمير مرقس [1].

وقد طلبت منى مجلة "عقيدتى" توجيه كلمة إلى منظمى هذا المؤتمر، فقلت: " إن مشاكل أقباط مصر لا تحل إلا داخل إطار الوحدة الوطنية وليس فى مؤتمر الأقليات المزعوم" وأشرت إلى رفض الأقباط لتصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢، ثم قلت: إرفعوا ايديكم عن أقباط مصر، لأن تاريخ مصر الطويل يؤكد أن شعب مصر نسيج واحد، وأن الأقباط جزء لا يتجزأ منه"[2].

وكتب الدكتور مصطفى محمود: "... إن النصارى والمسلمين فى مصر ليسوا أقلية وأغلبية يمكن تفريقهم بالمؤتمرات والفتن التى يثيرها الماكرون حول الأقليات، **ولكنهم سبيكة حضارية واحدة، تتصرف دائماً فى الأوقات كأنها جسم واحد متماسك للمصلحة الواحدة**، ومصر محفوظة بأمر الله من الدمار ومذكورة أربع عشرة مرة بالاسم وبالاشارة فى القرآن المجيد. الأرثوذوكسية المصرية غير الأرثوذكسية الأوروبية، والكنيسة الشرقية على خلاف مع الكنيسة الغربية، **وقد وقف أقباط مصر فى الماضى ضد الحملة الصليبية الأرثوذوكسية وقادوها مع مسلمى مصر، والقبطى المصرى يعلم أن هؤلاء الأعداء ليسوا كاثوليكاً وليسوا أرثوذكساً وليسوا يهودا، بل أصحاب مصالح وهواة رياسة...**" [3].

---

[1] انظر نص هذا البيان فى صحيفة "الأهرام" يوم ١٩٩٤/٤/٢٥، وفى صحيفة "الأهالى" يوم ١٩٩٤/٤/٢٧.

[2] انظر نص هذا الحديث فى مجلة "عقيدتى" الصادرة يوم ١٩٩٤/٥/٣

[3] مصطفى محمود ـ الصراع الدائر ـ الأهرام ١٤/٥/ ١٩٩٤. انظر أيضاً مقال : د. رءوف عباس: الأقباط والمأزق الوطنى ـ الأهالى ـ ١٩٩٤/٥/١١.

وقد أكد الرئيس محمد حسنى مبارك وحدة الشعب المصرى، فى بداية لقائه مع أعضاء لجنة الإعداد للحوار الوطنى يوم ١٩٩٤/٥/٢٩، اذ جاء فى كلمته " أول معايير المشاركة (فى الحوار الوطنى) هو الالتزام بالضوابط السياسية التى ارتضاها المجتمع المصرى واستقرت في وجدانه وضميره الوطنى. هذه الضوابط السياسية هى نتاج ميراثه التاريخى وتجربته عبر مئات السنين، وثمرة كفاحه الوطني وتاريخه الحديث والمعاصر، أملته طبيعة تكوينه الحضارى، وطبيعته الجغرافية، حيث أقامت على ارض هذا الوطنى العريق: ـ

ـ مجتمعاً لا يعرف التمييز فى العرق أوالدين أوالطائفة أوالطبقة.

ـ مجتمعاً اتحدت مكونات سكانه منذ فجر التاريخ.

ـ مجتمعاً انصهرت فى بوتقته كل التيارات والمذاهب، وتماسك فيه النسيج المصرى فلا مكان لطائفية، ولا موضع لتعصب أو طبقية [١].

والجدير بالذكر أن مركز ابن خلدون للدراسات الانمائية، قد اضطر ازاء التيار الرافض للمشاركة فى هذا المؤتمر ـ إلى عقده خارج مصر فى مدينة ليماسول بقبرص فى الفترة من ١٢ ـ ١٤ مايو سنة ١٩٩٤.

---

(١) جميع الصحف الصباحية الصادرة يوم ١٩٩٤/٥/٣٠

المبحث الثالث

خطأ الحديث عن القومية القبطية

مصر أعظم بوتقة انصهار فى العالم:

إن أى حديث عن **"القومية القبطية"** يفتقر إلـى الدليـل العلمـى والتـاريخى. وفى هذا الصدد يقول الأستاذ الدكتور ميلاد حنا[1]: "اذا كانت امريكا تدعى أنها **"بوتقـة انصهـار"** Melting Pat للجنسيات والشعوب التى هـاجرت إليهـا عـبر القرون الأربعة الأخيرة، وتزعم أنها قد كونت من هذا الخليط العجيب مـا يسـمى "بالشخصية الأمريكية"، فلمصر أن تتباهى بأنها **"أقدم بوتقة انصهار فـى العـالم"**، وأن نتاج هذا الانصهار هو سبيكة واحدة متجانسـة، نظـراً للعمـق التـاريخى لهـذا الانصهار ولأنه تم عبر قرون أطول. ولذلك فـإن الحديـث عـن النقـاء العرقـى فـى مصر، هـو حديـث سـخيف وغـير مقبـول، لأن الواقـع يدحضـه، فـلا يوجـد قـوم يزعمون أنهم من "سلالة نقية للفراعنة" كما لا يوجد مـن يزعـم أنـه يحمـل"دمـاء عربية نقية" أوأنه "تركى لحماً ودماً "، فقد ذابت تلـك العنـاصر التـى دخلـت فـى ظروف مختلفة وامتزجت، فتولـدت شـخصية مصريـة تحمـل بعـض الملامـح أو الخلفيات أوالانتماءات من هنا وهناك... واذا وجد من يدعو لما يسمى "بالقوميـة القبطية" مثلما قامت جماعة هزيلة سمت نفسها "الأمة القبطية" فى الخمسـينيات، فإنها فقاعات لابد من وجودها "لتحقيق الذات" لبعض المتعصبين ــ ولا توجد أمة بدون بعض المتعصبين ــ ولكن جمـاهير الأقبـاط قاومتهـا فـى حينهـا ثـم تركتهـا تموت فى هـدوء، لأن الأقبـاط ــ بذكـائهم التـاريخى ــ يعرفـون أن اسـتمرارهم وبقاءهم هو فى الانتشار "التداخل والمعايشة..." [2]. وكتب أيضاً إن مصر بحكم

---

(١) ميلاد حنا ــ المرجع السابق ــ ص ٥٧.

(٢) ميلاد حنا ــ الأعمدة السبعة للشخصية المصرية ــ كتاب الهلال ــ العدد ٤٥٧ ــ يناير سنة ١٩٨٩ ــ ص ١٠٤،١٠٥ ــ انظر أيضاً مقالا له بنفس هذا العنوان فى مجلة الهلال ــ أغسطس سنة ١٩٨٨ ــ ص ٣٠ وما بعدها.

تاريخها وتراثها وموقعها، أقدم بوتقة أجناس فى العالم، فقد مر عليها الهكسوس والفرس والغربيون والليبيون والعرب والفرنسيون والأتراك والشركس وغيرهم. وقد استوعبتهم مصر جميعاً فى زمن لا يزيد على جيلين متتاليين، وصرنا جميعاً مصريين، وهو أمر نتفاخر به ــ دون تعالٍ ــ على أمريكا التى تزعم أنها بوتقة أجناس ..." [١].

---

[١] ميلاد حنا ــ اللاتسامح يسود عام التسامح ــ صحيفة الأهرام ــ ١٩٩٥/٥/٢..

أما قصة **"جماعة الأمة القبطية"** التى أشار إليها الدكتور ميلاد حنا، فتخلص فى أنه فى أواخر عام ١٩٥٢ منحت وزارة الشئون الاجتماعية المحامى الأستاذ ابراهيم فهمى هلال ترخيصاً بتكوين جمعية دينية اتخذت لها اسم "جماعة الأمة القبطية".

ونصت المادة الخامسة من قانون تأسيسها على أن : "تعمل الجماعة فى سبيل تحقيق غرضها على :

١ ـ إصلاح شئون الكنيسة القبطية .
٢ ـ تقديم المساعدة للمحتاجين والعاطلين.
٣ – نشر تعاليم الكتاب المقدس
٤ ــ تعليم اللغة القبطية وتاريخ الكنيسة.
٥ ـ توجيه الشباب القبطى وجهة صالحة فى حياته والاهتمام بالنواحى الروحية والعلمية والرياضية".

ولكن تبينت وزارة الداخلية فيما بعد أن هذه الجمعية قد حادت عن أغراضها المعلنة، وبدأت تعمل على تحقيق أغراض خفية، أهمها تكوين **"دولة قبطية"** وذلك عن طريق استعمال القوة المسلحة لو اقتضى الأمر، وكان شعارها **"الانجيل دستورنا"** ، **والقبطية لغتنا، والموت فى سبيل المسيح أسمى أمانينا"** (ويلاحظ أن بعض أعضاء هذه الجماعة قد ارتكبوا فى سنة ١٩٥٤ جريمة خطف البطريرك الأنبا يوساب الثانى، وتم القبض عليهم وعلى رئيس الجماعة وحكم بادانتهم).

وقد بادرت وزارة الداخلية إلى استصدار أمر قضائى بحل تلك الجمعية، فرفعت الجمعية المنحلة معارضة فى أمر الحل أمام الدائرة الخامسة المدنية بمحكمة القاهرة الابتدائية. **وكنتُ فى ذلك الوقت العضو المختص بمباشرة قضايا الحكومة المنظورة أمام تلك الدائرة، وقد ساء أعضاء الجمعية المنحلة أن يحضر ويترافع ضدهم محام "قبطى" ــ رغم أن حضورى لم يكن بترتيب مقصود كما ظنوا ــ فأرسلوا إلىّ سيلا من خطابات التهديد بالخطف والقتل، فكنت أذهب إلى المحكمة فى حراسة مسلحة.** وتقدمت للمحكمة بمذكرتين بدفاع وزارة الداخلية، اولاهما بجلسة ١٩٥٤/٥/١٣، وثانيتهما بجلسة ١٩٥٤/٦/١٧، بينت فيهما الأغراض الخفية لتلك الجمعية، وانها جمعية سياسية تهدف إلى اقامة "دولة قبطية" باستعمال القوة المسلحة، وهذا يتنافى مع مبادئ الديانة المسيحية التى تقوم على محبة كل الناس حتى الأشرار والأعداء، وبالتالى فإن العنف مرفوض تماماً فى الديانة المسيحية. وانتهى الأمر برفض معارضة الجمعية وتأييد قرار الحل.

وكتب المستشار الدكتور وليم سليمان قلادة: "ان مصر تمثل ــ جغرافيا وبشرياً وحضارياً ــ كياناً موحداً له مقوماتـه الفريدة المتميزة، وهو ليس كياناً منعزلاً مغلقاً على ذاته، ولكنه يدخل مع غيره من الشعوب والكيانات فى علاقات وارتباطات متنوعة .... هذا الكيان الموحد يضم تعدداً دينياً يختلف عن التعدد الدينى فى أماكن أخرى مثل الهند أو قبرص أولبنان، **وهنا تتبدى الخصوصية المصرية أوضح ما تكون: إن مصر ــ الجماعة الموحدة والدولة المستقلة ــ هى من صنع جميع المصريين الذين لم ينجح العدو فى احداث الفرقة بينهم**.واذن، لابد أن يراعى دائماً أن شعبنا يختلف نوعياً عن جميع الشعوب المحيطة بنا، شرقاً وغرباً، من ناحية تكوينه وتاريخه، ومن ثم خصوصية مفاهيمه ونظمه ... والذى يبين من متابعة مسار الحركة المصرية، أنه فى كل موقف حرج وحاسم يتعرض له الكيان المصرى، كانت جميع مكونات الجماعة ــ من الأقباط والمسلمين ــ حاضرين مقدمين كل التضحيات المطلوبة، بدون أى تردد. **واذن فالكفاح المشترك المصرى هو المرجح الوحيد لمفهوم المواطنة، وما يترتب عليها من حق المشاركة ومبدأ المساواة"**[1] .

وكتب الأستاذ عاطف الغمرى ــ نقلاً عن كتاب "تاريخ مصر منذ محمد على" للبروفيسور فاتيكيوتيس أستاذ العلوم السياسية بجامعة لندن، الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٠ ــ "إن التاريخ قد برهن على أن شعب مصر يستوعب ولا يذوب، فهم قاوموا استيعابهم فى اطار الشخصية القومية الواحدة فى امبراطوريات الروم والبيزنطيين واليونان والعثمانيين وما تلاهم، **بل إنهم صهروا الهجرات القادمة إليهم فى بوتقه الشخصية القومية المصرية، وذوَّبوا هذه الهجرات فيهم.**

- ويرى الأستاذ الدكتور غالى شكرى أن هذه الجماعة كانت تمثل الجناح المتطرف لما يسمى "بمدارس الأحد"، وأن الشعار الذى اتخذته كان نقلاً حرفياً معاكساً لشعار الاخوان المعروف "القرآن دستورنا والرسول زعيمنا والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا" (غالى شكرى ــ الثورة المضادة فى مصر ــ الدار العربية للكتاب ــ سنة ١٩٨٣ ــ ص ٢٩٢).

[1] وليم سليمان قلادة ــ ثقافة الشعب الواحد ــ صحيفة "وطنى" ١٩٩٣/٤/٤.

والمصريون يملكون نوعاً من المقاومة الداخلية الاجتماعية ضد أية محاولة لتغيير خصائصهم القومية، حتى ولو كانت محاولة من حكومتهم ذاتها ... **إن ذوبان الهجرات في اطار الشخصية المصرية، ساعد على صهر المصريين جميعاً في عنصر عرقي واحد،** بخلاف ما حدث لغيرهم عندما وصلت موجات من نفس مصادر تلك الهجرات إلى دول أخرى. ولكنها ظلت حتى يومنا هذا تحتفظ بدرجات متعددة من خصائصها الأصلية...." [(١)].

رفض الدعوة لتكوين حزب ديني قبطي:

في اعتقادي أن أية دعوة لتكوين حزب ديني قبطي، لابد أن تقابل بالرفض من الأقباط أنفسهم. وهذا ما أكدته الخلفية التاريخية للعلاقات الإسلامية القبطية.[(٢)] إن ما يؤكده التاريخ عبر قرونه الطويلة، أن الأقباط قد اندمجوا في

---

(١) عاطف الغمري ـ مصر خارج دائرة الكراهية ـ صحيفة "الأهرام" ١٩٩٣/٩/٣٠.

(٢) وقد حاول البعض تكوين حزب مسيحي، ونشر جهاز المدعي العام الاشتراكي ـ تطبيقاً لأحكام المادة ٨ من القانون رقم ٤٠ لسنة ١٩٧٧ المعدلة بالقانون رقم ٣٠ لسنة ١٩٨١ بنظام الأحزاب السياسية ـ إعلاناً نشرته جميع الصحف، بأنه قد ورد إليه إخطار من رئيس لجنة شئون الأحزاب السياسية بأسماء المؤسسين لحزب جديد باسم "حزب السلام الاجتماعي وصيانة الوحدة الوطنية" وعرض أسماء خمسين شخصاً من الرجال والسيدات المؤسسين لهذا الحزب، لكي يتقدم إليه كل من لديه اعتراض على اسم من هذه الأسماء بأسباب اعتراضه (انظر جريدة الأهرام في ١٩٨٩/٢/٢٣ وهذا هو الاعلان للمرة الثانية، إذ سبق للأهرام أن نشر نفس هذا الاعلان في وقت سابق ـ انظر ايضاً جريدة الأخبار في ١٩٨٩/٢/٢٣). وقد أثار هذا الإعلان زوبعة كبيرة، وموجة من الاستياء بين الأقباط أنفسهم. وفي حديث هام أجراه الكاتب الكبير الاستاذ رجب البنا مع البابا شنودة الثالث حول الاعلان ونشرته صحيفة الأهرام في ١٩٨٩/٢/٢٣، جاء فيه ما يلي على لسان البابا شنودة الثالث: "... **الكنيسة لا توافق إطلاقاً على إنشاء حزب سياسي مسيحي، ولا توجد سابقة لهذا الأمر في تاريخ الأقباط .. الأقباط باستمرار يعملون داخل الاحزاب العامة في مصر متعاونين مع إخوتهم المسلمين في العمل السياسي، كما حدث في القديم وكما يحدث الآن .. ولا ننسى أن مسيحياً كان مرشحاً لعضوية مجلس الشعب على رأس قائمة التحالف الاسلامي ونجح (يقصد جمال أسعد عبد الملاك)... ولا مصلحة للأقباط في أن يكون لهم حزب سياسي خاص بهم، ولا يمكن عملياً أن يكون لمثل هذا الحزب نجاح في=**

نسيج المجتمع المصرى كله، لأنهم ـ كما سلف القول ـ قد أدركوا منذ الفتح العربى الاسلامى أن اختلاف الدين لا ينال من وحدة الدم والمصير بين ابناء مصر جميعاً.

وقد لاحظ الاستاذ الدكتور مصطفى الفقى أنه "عندما كان الحكام يحسنون معاملة الأقباط، ويتميزون بالسماحة تجاه معتقداتهم، كان الأقباط يقومون بدور فعال اجتماعياً وسياسياً. ولكن حين كان الحكام غير ذلك ـ فى بعض مراحل تاريخ مصر الاسلامية ـ كان الأقباط ينسحبون من الحياة العامة،

=**أية انتخابات، فالمسيحيون لا يحبون أن يعملوا منفردين، وهم دائماً جزء من نسيج المجتمع المصرى**، وقيام حزب مسيحى يمكن أن ينتهى بنا إلى الفرقة وليس إلى الوحدة الوطنية، وكأنهم يجعلون من الدين حاجزاً يحول دون انضمام اخوتهم المسلمين اليهم، كما سيكون لحزبهم رد فعل مضاد لا يخدم الوحدة الوطنية ولا السلام الاجتماعى ...**الأقباط ليسوا عنصراً قائماً بذاته فى مصر .. هذا المعنى مهم جداً، ولذلك أقوله دائماً وأكرره، لكى أضمن أن يصل إلى كل اذن ويتغلغل فى كل قلب ... الأقباط خيوط متداخلة فى هذا النسيج المصرى الواحد...**".

وكرر قداسته نفس هذه العبارات فى حديثه الهام الذى أدلى به إلى الأستاذ رجب البنا ونشرته مجلة "أكتوبر" فى عددها رقم ١٠٨٦ الصادر يوم ١٩٩٧/٨/١٧.

وفى الرسالة التى بعث بها المرحوم الاستاذ عدلى عبد الشهيد (وزير الهجرة الأسبق) إلى صحيفة الأخبار ، جاء فيها: " ... إن الشعور السائد لدى جمهور المسيحيين فى مصر، أنهم يعتزون بأواصر المحبة والمودة والتعاون التى تسود بين الأخوة المسلمين وبيننا نحن أقباط مصر، باعتبار أننا شعب واحد، شركاء فى السراء والضراء عبر التاريخ، مما يجعل السعى لأى تكتل طائفى أمراً مرفوضاً بل مرفوضاً تماماً ..." (الأخبار فى ١٩٨٩/٢/٢٣)

وفى الحديث الذى اجراه الاستاذ سامى فهمى مع البابا شنودة الثالث ونشرته صحيفة الأهالى فى ١٩٩٣/١/٦ جاء به على لسان البابا شنودة: "... لا أوافق على انشاء حزب مسيحى من أجل مصلحة مصر لتبعد عن الانقسام، ومن أجل مصلحة الأقباط حتى لا يعزلون تماماً داخل هذا الحزب الذى لا يمكن أن ينجح فى الانتخابات ابداً ".

كذلك نشرت صحيفة "الأهرام" الصادرة يوم ١٩٩٥/٦/٦ فى صفحتها الأولى أن قداسة البابا شنودة الثالث قد أدلى فى تصريحاته لصحيفة "القبس" الكويتية، أنه يرفض إنشاء حزب دينى يمثل الأقباط فى مصر، معتبراً أن أى حزب سياسى يجب أن يتسع للشعب كله بكافة طوائفه وليس لفئة معينة منه.

ويتحولون إلـى طائفـة منكمشـة، ويصبحـون سـلبيين علـى الصعيديـن الاجتمـاعى والسياسى"[1].

الخلاصة:

خلاصة القول أن الأقباط نسيج متداخل، وجزء أصيل وأساسـى مـن شـعب مصر، وستظل مصر متفردة بوحدة شعبها كله، لأنه من عنصر واحد، وقد انصـهر فـى حضـارة قـديمة متجـددة عبـر قرون طويلة، ولم تجد التفرقة سبيلا إليه.

---

[1] مصطفى الفقى ـ المرجع السابق ـ ص ١٦١.

الفصل الرابع

الوحدة الوطنية فى تاريخ مصر المعاصر

تقسيم :

سنقسم هذا الفصل إلى المباحث الثلاثة الآتية:

المبحث الأول : الوحدة الوطنية فى محيط الحياة اليومية

المبحث الثانى : الارهاب لن يؤثر فى الوحدة الوطنية.

المبحث الثالث : مختارات تاريخية من الوحدة الوطنية.

المبحث الأول

الوحدة الوطنية فى محيط الحياة اليومية

الرئيس محمد حسنى مبارك راعى الوحدة الوطنية :

يحرص الرئيس محمد حسنى مبارك فى جميع المناسبات على تـأكيد قيـام الوحدة الوطنية. ولا يتسع المقام لحصر كل أقواله فـى هـذا الصـدد، وانمـا أذكـر بعض نماذج منها، ففى كلمة التهنئة التـى وجههـا إلـى المسـيحيين بمناسـبة عيـد القيامة المجيد سنة ١٩٨٤ قال: "... لقد وقفـت جمـاهير الشـعب المصـرى مـن مسلمين ومسيحيين صفاً واحداً متماسكاً فى كل معارك التحرير والبناء دفاعاً عـن حقها فى صياغة حياتها على ارضها، وفـق أمانيهـا الحـرة وآمالهـا المشـروعة. إن الانسان المصرى الذى يؤمن ايماناً راسخاً بأن الديـن لله والوطـن للجميـع، قـادر بطاقته الروحية وملكاته المبدعـة علـى أن يضيـف إلـى رصيـده الحضـارى الكبـير انجازاً جديداً، بالتمسك بالقيم الرفيعـة والمبـادئ القديمـة الثابتـة التـى قـام عليهـا المجتمع المصرى على مر العصور، وفى مقدمتها التسامح والتآخى والحرص على الوحدة الوطنية ونبذ الشقاق والتعصب والتطهر من الضغينة والحقـد..."[1]. وقـال فى افتتاح دورة مجلس الشعب يوم الخميـس ١٩٨٧/٤/٢٣: "... إن مصـر التـى تسابق شهداؤها من المسلمين والأقبـاط فـى فدائهـا بـالأرواح والدمـاء. إن مصـر الوطن الواحد والشعب المترابط. إن مصر العظيمة الخالدة. لن تسمح بكل قواهـا وبكل ابنائها بأى تآمر مجنون على استقرارها وسلامتها..." [2]. وقال أمام مجلس

---

[1] انظر جميع الصحف المصرية الصادرة صباح يوم ١٩٨٤/٤/٢٣.

انظر ايضاً كلمات التهنئة التى وجهها السيد الرئيس إلى الأقباط بمناسبة عيـد الميـلاد المجيـد سـنة ١٩٨٥ (صحف ١٩٨٥/١/٧)، وعيد القيامة المجيـد سنة ١٩٨٥(صحـف ١٩٨٥/٤/١٤)، وعيـد الميـلاد المجيد سـنة ١٩٨٦ (صحـف ١٩٨٦/١/٧)، وعيـد القيامـة المجيـد سنة ١٩٨٦ (صحـف ١٩٨٦/٥/٤)، وعيد القيامة المجيد سنة ١٩٨٧ (صحف ١٩٨٧/٤/١٩).

[2] انظر صحف الأهرام والأخبار والجمهورية الصادرة يوم ١٩٨٧/٤/٢٤.

الشعب فى مستهل فترة رئاسته الثانية: "... الحماية الأولى للبناء هى الوحدة الوطنية، التى تتوهج بالحوار لا بالتهاتر، بآداب المعاملة لا برذائل التطاول، وبالسماحة والبعد عن التعصب والشطط. نريد أن نأتلف ونحن نختلف. نريد أن نتقارب ونحن نتحاور. نريد أن نعمق القيم .. لا أن نهدد الرائع فى تقاليدنا .. إننا قادرون على بناء المصنع والمعهد والمسكن... قادرون على استخدام أحدث وسائل العلم.. قادرون على التصدى لكل الصعاب .. **ولكن علينا أن نكون قادرين أولاً على أن نعيش إخوة فى عائلة الحب والخير والمودة** .." [1]. وقال فى خطابه فى عيد العمال فى أول مايو سنة ١٩٩٠ "**إن الأساس الأول والأعمق لكل بناء لأى شعب من الشعوب هو وحدته الوطنية ... الوحدة الوطنية هى القاعدة الراسخة** ... هى الجذور الضاربة فى الأعماق التى يعلومنها البناء صلباً متماسكاً لا تهزه العواصف ولا تنال منه الأعاصير، فيبقى شامخاً على مر العصور والأجيال وينمو صامداً قوياً يحمى كل الأبناء ويحميه كل الأبناء.. **الوحدة الوطنية هى الدرع الكبرى التى تحطم كل السهام الغادرة مهما كانت قادرة .. الوحدة الوطنية هى التى جعلت مصر مقبرة للغزاة**..." [2].

كذلك قال سيادته فى الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف مساء يوم ١٩٩٥/٨/٩ " .... الاسلام جعل لهؤلاء المواطنين (غير المسلمين) من الحقوق مثل ما للمسلمين وجعل عليهم من الواجبات مثل التى عليهم، ذلك كله بالإضافة إلى أن لهم كل الحق فى ممارسة شعائرهم، وصون معابدهم، ومزاولة كل شئون حياتهم وفق تعاليم دينهم، ليعيشوا فى المجتمع الاسلامى احراراً آمنين، متمتعين بالسلام والأمان مثل مواطنيهم المسلمين"[3].

---

(١) انظر صحف الأهرام والأخبار والجمهورية الصادرة يوم ١٩٨٧/١٠/١٣ التى نشرت بالكامل نص خطاب السيد الرئيس امام مجلس الشعب فى اليوم السابق.

(٢) انظر صحف الأهرام والأخبار والجمهورية الصادرة يوم ١٩٩٠/٥/٢.

(٣) جميع الصحف الصباحية الصادرة يوم ١٩٩٥/٨/١٠.

كذلك قال سيادته فى خطابه فى عيد العمال يوم ١٩٩٧/٤/٣٠: " إن اقباط مصر هم جزء أصيل من نسيجها الوطنى، مواطنون شرفاء لهم مالنا وعليهم ما علينا، حقوقهم مصونة لأنها حقوق كل مصرى، شركاء أصلاء فى وطن يعتنق السماحة، تعلم منذ ثورة ١٩١٩ أن الدين لله والوطن للجميع" [١].

ولم تكن تلك العبارات ـ على كثرتها ـ مجرد شعار يُرفع، أو أسلوباً لتهدئة الخواطر والنفوس، أو طلباً للتأييد الشعبى، وانما كانت واقعاً يعيشه الرئيس مبارك فى حياته الشخصية، فقد كشفت الصحف الصادرة صباح يوم ١٩٩٣/٨/١٠ أنه علم ـ وهو على سلم الطائرة المتجهة إلى بلجيكا ـ بوفاة ربة أسرة مسيحية كان يرعى افرادها فى سرية تامة منذ حوالى ٢٥ عاماً وقتما كان قائداً للقاعدة الجوية بمدينة بلبيس محافظة الشرقية، فكلف محافظ الشرقية (الدكتور عبد الوهاب سيد أحمد فى ذلك الوقت) بزيارة رب الاسرة (كامل باسيلى باسليوس) ونقل تعزيته الشخصية ومواساته لأفرادها، والاستجابة لتحقيق مطالب الأسرة [٢].

كذلك ذكر الرئيس مبارك فى حديثه الهام للاستاذ ابراهيم نافع (رئيس مجلس الادارة ورئيس تحرير الأهرام) يوم ١٩٩٧/٨/١٥ أن له أصدقاء مسيحيين، ولم يفرِّق طول عمره بين صديق مسيحى وصديق مسلم، وأضاف أن آخر رئيس تدريب للقوات الجوية كان مسيحياً وفى منتهى الكفاءة.

---

[١] جميع الصحف الصباحية الصادرة يوم ١٩٩٧/٥/١.

[٢] جميع الصحف الصادرة يوم ١٠/٨ / ١٩٩٣ ـ وذكرت صحيفة الأخبار مزيدا من التفاصيل، فقالت إن رب الأسرة ترزى يناهز السبعين عاماً، وزوجته المتوفاة (سميرة غطاس صليب) تناهز الستة والستين عاماً وكانت تعانى من أمراض متعددة منذ أكثر من ١٥ سنة. والأسرة مكونة من ٨ أفراد، ذكرت الصحيفة أسماءهم وأعمارهم.

الوحدة الوطنية واقع يومى يعيشه أفراد الشعب:

إن الوحدة الوطنية التى جمعت بين قلوب المسلمين والأقباط منذ أربعة عشر قرناً وحتى اليوم، لم تكن مجرد شعار يتغنون به، وانما كانت واقعاً يعيشونه، وعملاً يمارسونه كل يوم. فما تشهد به الحياة اليومية للشعب المصرى أن الوحدة الوطنية بين مسلميه وأقباطه متحققة فى أعمق صورها، فالمشاعر الطيبة والمودة وحسن المعاملة تظهر بوضوح كل يوم، سواء فى السراء أو الضراء. ففى الأفراح والأعياد يتبادل المسلمون والأقباط التهانى والزيارات وفى المآسى يسير المسلمون والأقباط فى مجموعات بشرية متماسكة ويجلسون جنباً إلى جنب فى السرادقات للتعزية والمواساة. بل وأكثر من ذلك، فإن التاريخ المشترك والتواجد المتداخل جعل الأقباط يشتركون اشتراكاً فعلياً فى بعض أعياد المسلمين، كيوم "عاشوراء" والمولد النبوى الشريف، وعيد الأضحى المبارك. ومن ناحية أخرى فإن بعض المسلمين يعتقدون فى شفاعة السيدة العذراء مريم وغيرها من القديسين وخاصة "مار جرجس" فيزورون كنائسهم ويشاركون فى الاحتفال بموالدهم طلباً للبركة أو الشفاعة، بل إن بعض السيدات المسلمات يشاركن فى "صوم العذراء" ويقدمن لها النذور. وفى هذا الصدد تساءل عاطف بركات، أحد الزعماء الذين نُفُوا مع سعد زغلول قائلاً: "... كم على المسلمين من النذور لمار جرجس والست دميانة؟ وكم على الأقباط من النذور للأولياء المسلمين؟" [1].

وكتب الأستاذ مرسى سعد الدين فى أعقاب الأحداث الطائفية التى وقعت سنة ١٩٨٧ مسترجعاً ذكريات عزيزة، قائلاً: تذكرت أحداثاً فردية، كيف كنا أثناء " صيام العذراء" نطبخ فى منزلنا الأكل الصيامى، وكيف كان أصدقاؤنا الكثيرون من الأقباط يصومون معنا شهر رمضان ونتناول معاً طعام الإفطار،

---

[1] طارق البشرى ـ المسلمون والأقباط فى اطار الجماعة الوطنية ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ سنة ١٩٨٠ ـ ص ١٤٥.

وكيف كنا نعيِّد فى أعيادهم، ويعيِّدون فى أعيادنا، تذكرت كل هذا وغيره الكثير وسألت نفسى: ماذا حدث؟" [1].

وفيما يلى بعض الصور التى تؤكد أن الوحدة الوطنية تسرى فى دماء الشعب المصرى:

١ ـ حفظت القرآن فى بيت عم صليب:

كتب الأستاذ جمال بدوى: "... حفظت أوليات سور القرآن الكريم فى بيت عم صليب ... وكان عم صليب من أعيان الأقباط فى بسيون ... ولم يجد حرجاً من أن يؤجر بيته لجمعية المحافظة على القرآن الكريم .. وكانت فصول المدرسة لا تخلو من تلاميذ يحملون أسماء: مرقس وجرجس ومسيحة وسمعان ... كنا نجلس معاً فوق دكك خشبية متهالكة نحفظ القرآن ... ونتعلم القراءة والكتابة والحساب ... **ونتلقى من أفواه مشايخنا مبادئ الحب والإخاء، ونتفاعل فى بوتقة الامتزاج الحضارى الذى ورثناه عن أجدادنا منذ آلاف السنين**... وفى نفس الوقت، كان قسيس الكنيسة ـ أبونا متّى ـ يسكن فى بيتنا... ونشأت بينى وبينه ألفة عقلية رغم الفارق الكبير فى السن.. فكنت أجلس إليه بالساعات نتبادل الحديث والقصص والنوادر التاريخية... كما نشأت بين أمى وزوجته عشرة قوية ... فتقضيان سحابة النهار فى الثرثرة والمشاركة فى المهام المنزلية التى تتطلب تعاوناً عائلياً ... وفى الأعياد والمواسم تتبادلان أطباق الحلويات والكعك وعاشورة..."[2]. ثم يضيف معلّقاً **"هذه هى الصورة الطبيعية والمسلك المألوف عند المصريين منذ عاشوا على ضفاف النيل، يأكلون من وعاء واحد، ويشربون من كوب واحد، ويمارسون عادات وتقاليد غاية فى التطابق..."** [3] .

---

(١) مرسى سعد الدين ـ هكذا كتبوا عن وحدتنا الوطنية ـ مقال بصحيفة الأهرام فى ١٩٨٧/٤/١٦

(٢) جمال بدوى ـ القرآن فى بيت عم صليب ـ صحيفة الوفد يوم ١٩٨٧/٣/٥.

(٣) جمال بدوى ـ المقال السابق.

٢ - الصوم من أجل أم هنرى:

كذلك كتب الدكتور عبد العظيم أنيس: "..... أتذكر أن أمى كانت تصوم أحياناً بعض الأيام دون مناسبة ظاهرة من المناسبات الدينية المعتادة، وكنت أسألها لماذا تصوم اذن فتقول لى: توسلا إلى الله حتى يشفى "أم هنرى" وكانت أم هنرى جارتنا تسكن فى الشقة التى تعلو شقتنا، وكانت صديقة أمى يتبادلان الزيارات اليومية وأطباق المأكولات بعد خروج الأزواج إلى العمل والأولاد إلى المدارس. وكانت ام هنرى تصوم هى أيضاً توسلاً إلى الست العذراء عندما تسقط أمي طريحة الفراش، وما أكثر ما كان يحدث هذا..."[١].

٣ - نموذج للتآخى فى أسيوط

كتبت الأستاذة الدكتورة عواطف عبد الرحمن" ... إننى انتمى إلى اسرة مسلمة من احدى قرى الجبل الغربى (جنوب اسيوط) نشأت ووجدت أمامي الجبل شامخاً وقاسياً ومهيباً، يطل على القبور ثم المنازل، ويمتد خلف ظهورنا شريط ضعيف من الغيطان والمزارع، وتجاورنا بيوت هارون والضبع والبساتين. كبار الأسرة من الآباء والأجداد يمضون الامسيات فى المنادر يتسامرون ويتحدثون عن مشاكل الأرض والأنباء وأخبار الوفد والملك والانجليز، ويقرأون الأهرام والمصرى ويستمعون لعبد الوهاب وام كلثوم. فى الأفراح يتبادلون التهانى والنقوط والعزايم، وفى المآتم يتشاركون فى مراسم الدفن وتلقى العزاء. يعيشون أعياداً مشتركة وإن اتخذت اسماء دينية مختلفة. **فى شهر رمضان تقام موائد الافطار فى بيوت الميسورين من الأقباط ويحتفل الجميع بعيد الفطر، وكذلك فى عيد الأضحى يقوم الميسورون من المسلمين بنحر الذبائح فى الساحات الصغيرة ويتشارك فقراء القرية من مسلميها وأقباطها فى الاحتفال وتبادل**

---

(١) عبد العظيم أنيس ـ أم هنرى وذكريات أخرى ـ صحيفة الأهالى يوم ١٩٨٧/٣/١١.

التهاني . وفي أعياد الغطاس والعذراء والنيروز وعلى الأخص عيد العذراء حيث يحتشد ما يقرب من مليون شخص فى أغسطس من كل عام فى القرى المحيطة بكنيسة العذراء بجبل اسيوط يحتفلون، ولا يجرؤ أحد أن يسأل الآخر عن هويته الدينية... ويزين البهو الكبير فى مندرة جدى صورته وبجوارها صورة بعرض الحائط "العشاء الأخير" وبجانبها صورة أخرى أصغر مشغولة على الحرير وعليها توقيع " حنا ميشيل مرشاق عنوان المحبة إلى فهمي أفندى أبو زيد" أتذكر أحاديث جدى عندما كان يأخذنا ونحن صغار لزيارة الأديرة المنتشرة فىالجبل الغربى ويحكى لنا عن رحلة السيدة العذراء منذ لجوئها إلى مصر حتى عودتها إلى فلسطين ... كان يقول لنا إن هذه الاديرة هى التى حفظت تراث مصر الوطنى حيث لجأ إليها القديسون والرهبان، واختبأوا فيها ومعهم كنوز التراث القبطى عندما تعرضت مصر وشعبها للغزو الرومانى الذى حاول أن يدمر الكنيسة المصرية ويمحوها تماماً... كان يطوف بنا ويحكى، ونحن مندهشين لماذا يحكى جدى عن الأقباط ونحن مسلمون؟ وكنا نهمس لأمى بتساؤلاتنا البريئة، فكانت تشرح لنا أنه لولا تضحيات هؤلاء القديسين لاندثر أقباط مصر قبل أن يدخلها الإسلام، لأن هؤلاء الأقباط هم الذين استقبلوا الفتح الاسلامى....." [١].

٤- الوحدة الوطنية على طريقة أهل البلد :

تحت هذا العنوان نشرت صحيفة الأهالى الصادرة يوم ١٩٩٤/٨/٣ أنه أثناء تناول عادل نخلة وزوجته فيكتوريا يونان وامه وأولاده الثلاثة طعام الغداء،

---

[١] عواطف عبد الرحمن ــ ثلاث رسائل لمن يهمه الأمر ــ صحيفه "الأهالى" يوم ١٩٩٢/١١/١١ ــ الصفحة الأخيرة ــ وبالمقال صور أخرى جميلة عن مدى الحب والتآخى والاندماج فى علاقة أسرة الكاتبة بأسرة قبطية مجاورة.

ارتفعت أصوات استغاثة من الشقة المجاورة بسبب حريق شب فيها ، فسارع عادل إلى باب الشقة واقتحم النيران لإنقاذ الطفل محمد صابر، وأمه وأخته. وكانت النتيجة هي وفاة عادل نخلة متأثراً بالحروق التي أمسكت في جسده وعلقت على هذا الحادث فيكتوريا زوجة عادل بقولها : عادل شهيد.. أدى واجبه، كان لازم يعمل كده، دا احنا أكثر من أهل. أما أم عادل فقالت وهي تجفف دموعها : هذه الدموع ليست من أجل عادل وحده، بل من أجل الطفل محمد المحجوز في المستشفى يعاني من نسبة حروق ٩٠٪.

٥- علاج الصبي مؤمن :

تحت عنوان "الله محبة" كتب الاستاذ إبراهيم سعده قصة الصبي "مؤمن زهران" البالغ من العمر ثماني سنوات ، والمصاب بضمور في العضلات وهي الحالة التي تصيب طفلاً في المليون، وإذا لم يعالج قبل سن الحادية عشرة فسوف تموت عضلات جسده تدريجياً... وأضاف أن الأطباء أخبروا أسرة "مؤمن" أنه يوجد مركز واحد في العالم لعلاج حالة مؤمن واسمه مؤسسة علاج الخلايا والأبحاث في مدينة ممفيس بولاية اركنساس الأمريكية... فأرسل الأب إلى المركز الطبي يستفسر عن التكاليف، فرد المركز بأن العملية تتكلف ١٥٠ ألف دولار بخلاف إقامة المريض والمرافق لمدة عامين.

هذه القصة عرفت طريقها بسرعة وسهولة إلى القلوب الرحمية من قراء "أخبار اليوم" إذ تسابق أهل الخير في الإسهام في تكاليف علاج "مؤمن"، ولكن جملة التبرعات لم تغط المبلغ المطلوب، فاتصل فاعل خير بالاستاذ إبراهيم سعده واستفسر عن المبلغ الباقي حتى تكتمل تكاليف العلاج، ثم توجه إلى مكتب الاستاذ إبراهيم سعده وسلمه شيكا بمبلغ ١٨٠ مائة وثمانين ألف جنيه مصري، وطلب عدم ذكر اسمه للقراء اكتفاء بأنه "فاعل خير".

ويعلق الاستاذ إبراهيم سعده على هذه القصة بقوله : "كل ما أريد أن أعرِّف القراء به ــ وأرجو ألا يغضب ــ أن فاعل الخير الشهم النبيل هو أخ مسيحي الديانة. هذه هي مصر، وهذا هو شعب مصر الذى لايعرف التعصب ولا يفرق بين الأديان السماوية.... والله محبة"[1].

---

[1] إبراهيم سعده ــ مقالات ساخنة ــ مكتبة الأسرة ــ سنة ١٩٩٧ ـ ص ٢٩-٣٤.

والجدير بالذكر أن صحيفة "أخبار اليوم "كتبت بالصفحة الأولى من عددها الصادر يوم السبت ١٩٩٧/٩/١٣ أنه حدث تقدم كبير فى الحالة الصحية للصبى "مؤمن زهران" بعد مرور ستة أشهر على إجراء عملية زرع خلايا جديدة ضد مرض ضمور عضلاته. وأعلن د. بيتر لو مدير مركز زراعة الخلايا أن مؤمن زاد طوله بمقدار بوصة (٢,٥ سم) خلال الأشهر الماضية، وقال د. جورج فستاج المدير الطبى بالمركز أن نسبة تقدم حالة مؤمن بلغت ٤٥٪ وأصبح يمشى دون مساعدة.

المبحث الثانى

الإرهاب لن يؤثر فى الوحدة الوطنية

أصل الإرهاب :

الإرهاب فى أصله ومنبته فكر متطرف، والفكر المتطرف فى ذاته لا حجر عليه، فحرية الرأى مكفولة بنص الدستور[1] ، وتاريخ البشرية ملئ بالأفكار المتطرفة، سواء ذات اليمين أو ذات اليسار . ولكن فرض هذا الفكر المتطرف بالقوة على الآخرين هو الإرهاب الذى يجب التصدى له ومقاومته، حرصاً على حرية الرأى من ناحية، وحفاظاً على حقوق المواطنين فى الأمن والأمان من ناحية أخرى، وتأكيداً لهيبة الدولة من ناحية ثالثة.

لماذا ارتدى الإرهاب فى مصر بعباءة الإسلام؟!

فى اعتقادى أن الإسلام الصحيح والإرهاب لا يجتمعان أبداً، وهذا ما يدعونى إلى القول بأن الإرهاب يرجع إلى أسباب غير دينية.

---

(1) تنص المادة ٤٧ من الدستور على أن "حرية الرأى مكفولة ، ولكل إنسان التعبير عن رأيه ونشره بالقول أو الكتابة أو التصوير أو غير ذلك من وسائل التعبير فى حدود القانون، والنقد الذاتى والنقد البناء ضمان لسلامة البناء الوطنى"

وقد أكدت المحكمة الدستورية العليا أن الدساتير لا ترمى من ضمان حرية التعبير أن تكون مدخلاً لتوافق عام، وإنما الهدف من ذلك هو كفالة **تعدد الآراء Plurality of opinions** ، فما قد يراه إنسان صواباً فى جزئية بذاتها، قد يكون هو الخطأ بعينه عند الآخرين. كما أنه من المقرر أن حق الفرد فى التعبير عن الآراء ليس معلقاً على صحتها ولا مرتبطاً بتمشيها مع الاتجاه العام فى بيئة بذاتها ... إن الحقائق لا يجوز أخفاؤها، ومن غير المتصور أن يكون النفاذ إليها ممكناً فى غيبة حرية التعبير ... ولعل أكثر ما يهدد حرية التعبير أن يكون الإيمان بها شكلياً أو سلبياً، بل يتعين أن يكون الإصرار عليها قبولاً بتبعاتها، وألا يفرض أحد على غيره صمتاً ولو بقوة القانون enforced silence ... إن حرية التعبير التى كفلها الدستور هى القاعدة فى كل تنظيم ديمقراطى لا يقوم إلا بها (المحكمة الدستورية العليا ــ جلسة ١٩٩٥/١/١٤ ــ الدعوى رقم ١٧ لسنة ١٤ ق ، وجلسة ١٩٩٥/٤/١٥ الدعوى رقم ٦ لسنة ١٥ ق ــ مجموعة أحكام المحكمة الدستورية العليا ــ جـ ٦ رقم ٣٢ و ٤١ ص ٤٤٠ و ٦٣٧).

وقد أعلن بعض الإرهابيين أن العدوان على الأقباط ليس مقصوداً لذاته، وإنما لإحراج الحكومة وإحداث اضطرابات داخلية تمهيداً للاستيلاء على الحكم.

وفى الحديث الهام مع الأستاذ رجب البنا قال قداسة البابا شنودة الثالث: "لعلنا نذكر أن الإرهاب هاجم مسجداً فى الصعيد وقتل عدداً من المسلمين أثناء الصلاة . وهذا دليل على أن الإرهاب لا دين له .. **الإرهاب مؤامرة موجهة إلى المجتمع كله دون تفرقة.** ولعلنا نذكر أيضاً أن عدد ضحايا الإرهاب من رجال الشرطة أكثر من ضحاياه من المواطنين .. وأن ضحاياه من المسلمين أضعاف عدد ضحاياه من الأقباط .. **ولذلك ننزه الإسلام من أن ننسب إليه هذه الجرائم التى لا تجد سنداً لها فى دين أوأخلاق**"[1] .

وفى رأيى أن ارتداء الإرهاب بعباءة الدين يرجع إلى سببين رئيسيين هما:

١ - أن الشعب المصرى ـ منذ عهد الفراعنة ـ شعب متدين بفطرته، يلعب الدين فى حياته دوراً أساسياً ويتحكم فى جميع تصرفاته.

٢ - أن الأمية بوجه عام، والأمية الدينية بوجه خاص، متفشية بين أفراد الشعب المصرى، فمعظم المصريين يجهلون ـ رغم تدينهم ـ حقيقة التعاليم

---

[1] انظر نص الحديث فى مجلة أكتوبر ـ عدد ١٠٨٦ الصادر بتاريخ ١٩٩٧/٨/١٧.

والملاحظ أن الحوادث الإرهابية التى وقعت فى أنحاء متفرقة من العالم، سواء فى أمريكا أو أوروبا أو اليابان أو غيرها، تؤكد أن الإرهاب قد انتشر على المستوى الدولى. وفى لقاء الإفطار الذى عقده الرئيس محمد حسنى مبارك فى أول أيام عيد الأضحى المبارك (١٩٩٥/٥/١٠) مع قادة وجنود الجيش الميدانى الثانى (بالإسماعيلية) قال : إن العالم أدرك أن الإرهاب ليس ظاهرة إسلامية، بل ظاهرة لا دين لها ولا عقيدة ولا أرض، وأنها وليدة نبت خاطئ يظهر فى أى ارض أو وطن، وقد كان واضحاً فى المؤتمر الدولى الناجح لمنع الجريمة الذى عقد على ارض مصر (٢٩ إبريل ـ ٨ مايو ١٩٩٥) أن دول العالم أدركت الحقائق وأهمية التنسيق بينها من أجل مكافحة الإرهاب بكل صوره " (جميع الصحف الصادرة يوم ١٩٩٥/٥/١١). وقال أيضاً ـ تعليقاً على حادث المتحف المصرى بميدان التحرير يوم الخميس ١٩٩٧/٩/١٨ والذى راح ضحيته تسعة من السواح الالمان وسائق مصرى ـ إن العنف أصبح ظاهرة عالمية تحدث فى كل دول العالم، وجميع الدول تتخذ إجراءات عديدة لمنع أحداث العنف ولكنها تحدث على الرغم من ذلك (صحيفة الأهرام ـ ١٩٩٧/٩/٢٢).

والمبادئ السامية التى ينادى بها الدين، وقد هيأت هذه الأمية الدينيـة التربـة، الصالحة لنمو وانتشار الأفكار المتطرفة التـى يرفضهـا بشـدة الفهـم الصحيـح للديـن. وقـد بيـن الكـاتب الكبيـر الأسـتاذ رجـب البنـا صلـة الأميـة الدينيـة بالإرهاب فكتب: "الأمية الدينية هى المسئولة عـن التطـرف والإرهـاب، لأن الجماعات المتطرفة والإرهابية تسـتغل جهـل النـاس العـاديين بدقـائق الأمـور الدينية، وتقوم هى بتقديم أمور الدين كما تريد، وتشرح وتفيض فى الشرح ، وتستخدم وسائل الاتصال الشخصى، والإلحـاح والتكـرار، وتجنيـد العنـاصر النشطة، لكى تردد، وتقنع الآخرين بما تريد... "[1].

ولذلك أرى أن الإجراءات الأمنية ــ رغم أهميتها ــ لن تـؤدى إلـى القضـاء على الإرهاب، لأن استئصال الإرهاب من منابتـه وجـذوره، وحصـره فـى أهدافـه السياسية وكشف عباءة الدين التى يرتدى بها، ينبغى أن يكون فى التصدى للفكـر المتطرف، ومقارعة الحجة بالحجـة، وبيـان أن المبـادئ السـامية للإسـلام ترفـض بشدة كل أفعال العدوان وترويع الآمنين وتهديدهم فى أرواحهم وأموالهم.

---

(1) رجب البنا ــ محو الأمية الدينية هو الحل ــ مجلة أكتوبر ــ العدد ٩٣٤ بتاريخ ١٩٩٤/٩/١٨.

ويلاحظ أن تغليف الأهداف السياسية بغلاف الدين، معروف أيضاً فى الديانة المسيحية، ولعل أشـهر مثال على ذلك الحرب الاستعمارية التى أطلق عليها اسم"الحروب الصليبية"، وفى هذا الصـدد كتـب قداسـة البابا شنودة الثالث : "كثير من المؤرخين المسـلمين يقولـون إنهـا تسـمية خاطئـة، فهـى حـرب استعمارية، أوحرب أوروبية، أو هى حرب من الفرنجـة، أو هـى حـرب احتـلال... والمسـيحية تديـن الحـرب عمومـاً، وتدين الاحتلال... الهجوم والاعتداء لا تقبله المسيحية على الإطلاق. كذلك الصليب فى المسيحية هو رمز حب وبذل وفداء، ولم يكن فى يوم من الأيام رمز هجوم أو اعتداء إطلاقاً (انظر مقـال البابـا شـنودة الثـالث: حطين وصلاح الدين ــ مجلة الهلال ــ أغسطس سنة ١٩٨٧ ــ ص ٢٦ وما بعدها).

كذلك سجل التاريخ العديد من الجرائـم ضـد الإنسـانية ارتكبهـا البابـاوات والحكـام المسـيحيون، وزعموا ــ ظلماً افتئاتاً ــ أنها باسم الدين.

وقد بينا فيما سبق أن الأقباط قد تنبهوا إلـى حقيقـة الحـروب الصليبيـة، ولـم ينخدعـوا برفـع شـعار الصليب، ولذلك انضموا إلى صفوف المسلمين (انظر كتابنا: معاملة غير المسلمين فى المجتمع الإسلامى ــ ص ٧٧ وما بعدها).

إننى أؤيد قوافل التوعية التى يقودها علماء الإسلام لتبصير المواطنين بالمبادئ السامية التى يزخر بها هذا الدين السمح، بل إننى أطالب جميع الأحزاب والتنظيمات الشعبية بالتصدى للفكر المتطرف وكشف القناع عنه، وبيان حقيقة الأطماع السياسية للجماعات التى ترتدي بعباءة الدين.

وهذا ما طالب به الرئيس محمد حسنى مبارك فى خطابه التاريخى فى الاجتماع المشترك لمجلسى الشعب والشورى يوم السبت ١٩٩٠/١٢/١٥ بمناسبة افتتاح دور الانعقاد العادى الأول من الفصل التشريعى السادس لمجلس الشعب، إذ قال: "... لا تتم المواجهة الحازمة للإرهاب بالأسلوب الأمنى فقط، وإنما تكون بتحرك المجتمع ـ بكل تجمعاته الديمقراطية ــ للتصدى للإرهاب سياسياً وإعلامياً وفكرياً. وطبيعى أن تتصدر الأحزاب القائمة المؤسسات التى تقوم بدور بارز فى هذا الصدد، وطبيعى أيضاً ألا تكتفى الأحزاب باستنكار الإرهاب وإدانته بالقول، بل إنه يتعين عليها أن تتصدى له بالعمل السياسى المتصل، وبالحركة النشطة فى صفوف الجماهير، لأن المسئولية هى مسئوليتنا جميعاً، ولأن الخطر يتهدد الجميع دون استثناء[١] .

وفى خطاب آخر يقول : " ... أكرر أن مواجهة العنف والإرهاب ينبغى أن تكون مسئولية المجتمع بأسره ... مسئولية المؤسسات الدستورية الحريصة على المسيرة الديمقراطية، ومسئولية القوى السياسية والحزبية التى لن يكون لها وجود فى ظل حكم شمولى جديد، ومسئولية الكاتب والأديب والمفكر والفنان، مسئوليته لأنه فى ظل سطوة الإرهاب والإرهابيين تنعدم حرية القول والفكر ويسود الظلام، ويقتل كل إبداع وتجديد، بل إنها مسئولية المواطن العادى أياً

---

[١] انظر نص الخطاب فى الكتاب الذهبى الذى أصدره مجلس الشعب ببيانات الرئيس محمد حسنى مبارك بمجلس الشعب (١٩٨١ ـ ١٩٩٣) ص ٤٥٩.

كان موقعه، لأنه هو الذى سوف يتحمل فى النهاية نتائج تهديد تلك الجماعات لأمن الوطن واستقراره وتقدمه"[1] .

التدين الصحيح هو الحل:

ليس صحيحاً القول بأن تجنب الإرهاب يعتمد على تجنب الدين، لأن هذا معناه أن الدين يؤدى بالضرورة إلى الإرهاب. إن أفضل علاج للإرهاب هو التربية الدينية السليمة منذ الصغر، وإبراز الجانب الإنسانى للدين، والتركيز على مبدأ التسامح، وقبول التعايش مع الآخرين المختلفين فى الدين. **وبالاختصار فإن الدين هو العلاج وليس الخروج عن الدين.**

وقد أكد الرئيس محمد حسنى مبارك دور التدين الصحيح فى مكافحة الإرهاب عندما قال: ".... لن ينجح الإرهاب الدموى فى تحقيق أهدافه الشريرة على أرضنا الطيبة وفى مجتمعنا المؤمن، فنحن شعب مؤمن بالرسالات والأديان، وقد نشأت أجيالنا المتعاقبة فى مختلف مراحل نموها على الالتزام بالقيم الدينية، وأداء الفرائض الواجبة، كما أننا عشنا ونعيش بإيمان لا يتزعزع بأن الدين رحمة وتراحم، مودة وترابط، يسر وسماحة، ولن تفتر دعوتنا إلى الالتزام بفضائل الدين والتنشئة الصالحة فى البيت ودور العلم بتعاليم الله سبحانه وتعالى، وما تبثه هذه التعاليم من نقاء روحي، هو خير زاد فى رحلة الحياة لأبنائنا وشبابنا"[2].

---

[1] انظر نص بيان الرئيس محمد حسنى مبارك فى الاجتماع المشترك لمجلسى الشعب والشورى يوم السبت ١٩٩٢/١١/١٤، بمناسبة افتتاح دور الانعقاد العادى الثالث من الفصل التشريعى السادس لمجلس الشعب ـ الكتاب الذهبي ـ المرجع السابق ـ ص ٥٩٩.

[2] من الخطاب التاريخى للرئيس محمد حسنى مبارك فى الاجتماع المشترك لمجلسى الشعب والشورى يوم السبت ١٩٩٠/١٢/١٥ ـ الكتاب الذهبى الأول الذى أصدره مجلس الشعب ببيانات الرئيس محمد حسنى مبارك بمجلس الشعب (١٩٨١ ـ ١٩٩٣) ص ٤٦٠.

وفى خطاب آخر قال سيادته: "... لن تفلح مخططات فى خلش نسيج مصر الوطنى، لأن الشعب يعرف أهدافها ونواياها، ولأن وحدة الوطن جزء أصيل من ضمير كل مصرى، ولأننا قد تعلمنا منذ القدم أن الوطن وطن الجميع" (من خطاب الرئيس محمد حسنى مبارك فى بيانه فى الاجتماع المشترك لمجلسى الشعب والشورى يوم ١٩٩١/١١/١٤ ـ راجع الكتاب الذهبى ـ المرجع السابق ـ ص ٥٧٧).

وقد وجه الأستاذ الكبير رجب البنا السؤال الآتي إلى قداسة البابا شنودة الثالث: هل تشعر بالقلق من موجة التدين بين المسلمين؟! فكان رد قداسته: " أبداً ... أبداً ... أنا أشعر بالعكس... أشعر بالراحة لذلك ... لأن المسيحيين يكونون في اطمئنان حين يتعاملون مع مسلمين متدينين يعرفون جوهر دينهم، لأن الدين يحمي الإنسان من الخطأ والانحراف والشر، ولكنى اشعر بالقلق من العنف الذى يظهر لأسباب اجتماعية، وأحياناً تحركه قوى خارجية، ويحاول أن يظهر بمظهر دينى، ويدعى أنه تعبير عن الإسلام، وأنا أعلم جيداً أن الإسلام بعيد كل البعد عن الظلم والإرهاب"[1].

من الظلم محاكمة الإسلام بتصرفات بعض المسلمين:

من الظلم البيِّن ما تفعله بعض المجتمعات الغربية التى تحاسب الإسلام بتصرفات بعض المسلمين، فالعدالة تقضى بأن تقاس تصرفات المسلمين بمعايير الإسلام التى تزخر بالسماحة والقيم السامية الداعية إلى الرحمة والمساواة والعدل والقسط حتى مع الأعداء. والقول بعكس ذلك ليس صحيحاً بأى حال، إذ لا ينبغى أن يحاكم الإسلام بتصرفات قلة من المسلمين.

ومما يدعو إلى الأسى العميق أن أفعال الإرهابيين الذين يتسترون وراء الإسلام، أدت ــ فى الغرب ــ إلى ظهور مرض "اسلاموفوبيا" أى مرض الخوف من الإسلام، وقد انتشر هذا المرض السيكولوجى بين عدد كبير من الغربيين، منهم مثقفون وعلماء ورجال سياسة[2] . ولا شك أن مكافحة هذا المرض تقع على عاتق علماء الإسلام الذين من واجبهم تبصير أهل الغرب بالمبادئ الصحيحة للإسلام.

---

[1] انظر نص الحديث فى مجلة "أكتوبر" ــ العدد ١٠٨٨ بتاريخ ١٩٩٧/٨/٣١.

[2] انظر: رجب البنا ــ اسلامو فوبيا ــ صحيفة الاهرام ١٩٩٧/٧/٦

ويقـول الاسـتاذ رجـب البنـا : "...للحـق لابـد أن نقـول إن المؤسســات الإسلامية لم تؤد واجبها كاملاً حتى الآن ... لم تحشد المفكريـن الكبـار ... لـم تحصر أوجه الهجوم على الإسلام ....لم تضع خطة للرد وتوضح حقائق الإسـلام فى كتب وبحوث، وفى مؤتمرات وحلقات بحث علمية على أعلى مستوى، ولـم تدعُ أصحاب الفكر المعـادى لزيـارة العـالم الإسـلامى والتعـرف علـى السـماحة المتغلغلة فى ملايين المسلمين، ليعايشوا الفكر الإسـلامى مـن خـلال الممارسـات اليومية البسيطة المعتدلة" [١]

[١] رجب البنا ـ كيف نقدم الإسلامى للغرب؟ ـ مجلة الرائد ـ تصدرها نقابة المعلميـن ـ العـدد الثـانى ـ سنة ١٩٩٧ ـ ص ٢١.

المبحث الثالث

مختارات تاريخيّة من الوحدة الوطنية

استحالة حصر صور الوحدة الوطنية:

سجل التاريخ العديد من صور الوحدة الوطنية التى يستحيل حصرها، ومع ذلك فان ما سجله التاريخ من هذه الصور لا يعدو أن يكون قطرة من محيط الحياة اليومية الزاخرة بشتى ألوان المودة والتعاون والمحبة والوفاء والتضحية بين أبناء الوطن الواحد.

وفى يقينى أن كل ما سجله التاريخ من ألوان الوحدة بين المسلمين والأقباط، هو فى الواقع تحصيل حاصل وذكر لمعلوم، وهو تسجيل لأوضاع طبيعية وعادية بين أبناء الشعب الواحد.

ومع ذلك، فإنى أذكّر الناسين والمتناسين ببعض النماذج المضيئة من التاريخ المعاصر للوحدة الوطنية التى جمعت بين قلوب المسلمين والأقباط فى الوطن الواحد:

(١) - الشيخ الباجورى:

سجل التاريخ أن حاكم مصر، الوالى عباس الأول، كان شديد النقمة على النصارى، واخرج معظمهم من خدمة الحكومة، وأصابهم بألوان من الأذى والاضطهاد، وقد خطر له أن يخرجهم من مصر ويبعدهم إلى السودان، وعندما أراد استصدار فتوى من الأزهر بجواز ذلك، استدعى الشيخ الباجورى، شيخ الجامع الأزهر يومئذ وسأله فى ذلك. وكان رد الشيخ الباجورى هو رفض رغبة الوالى، قائلاً إنه إذا كان يعنى الذميين الذين هم أهل البلاد وأصحابها "فالحمد لله

لم يطرأ على ذمة الإسلام طارئ ولم يستولِ عليها خلل، وهم فى ذمته إلى اليوم الآخر"[1].

(٢) – البابا كيرلس الرابع (أبو الإصلاح)

ليس هنا مجال الحديث عن الأعمال العظيمة التى قام بها البابا كيرلس الرابع (جلس على كرسى البابوية فى الفترة من ١٨٥٤ ـ ١٨٦٢) حتى لقب بأبى الإصلاح، وإنما نكتفى هنا بذكر اللقاء الذى تم بينه وبين القنصل العام لروسيا القيصرية فى القاهرة، إذ قال القنصل العام: إن الكنيسة الأرثوذكسية فى روسيا تتفق عقائدها مع عقائد الكنيسة القبطية فى مصر، ثم عرض على البطريرك وضع الأقباط فى مصر تحت حماية القيصر الروسى العظيم، وكان ذلك فى عصر تسابق كل الإمبراطوريات على مواقع الاستغلال والنفوذ فى الشرق. ولكن البطريرك رد على القنصل قائلاً : هل يموت القيصر الروسى؟ فرد القنصل فى دهشة قائلاً: بالطبع إنه شأن جميع البشر يموت عندما ينتهى أجله، فرد البطريرك : **إذن، فلماذا أضع نفسى وأهلى تحت حماية من يموت فى حين أننا جميعاً فى حماية حى لا يموت**[2].

(٣) – أول حزب سياسى فى تاريخ مصر الحديث:

تكوّن أول حزب سياسى فى تاريخ مصر الحديث باسم "الحزب الوطنى"، وأعلن برنامجه الرسمى فى أول يناير سنة ١٨٨٢، ونصت المادة الخامسة من هذا

---

(١) فهمى هويدى ـ مواطنون ... المرجع السابق ـ ص ١١٦، طارق البشرى ـ المرجع السابق ـ ص ٤١، رياض سوريال ـ المجتمع القبطى فى مصر القرن ١٩ ـ مكتبة المحبة ـ سنة ١٩٨٤ ـ ص ٢٥٩.

(٢) محمد حسنين هيكل ـ خريف الغضب ـ الطبعة الرابعة ـ سنة ١٩٨٣ ـ ص ٣٢٠ ـ ٣٢١.

ويلاحظ أن الاستاذ الدكتور حسين مؤنس ينسب هذه الرواية إلى البابا كيرلس الخامس رداً على ما عرضه عليه المعتمد البريطانى (حسين مؤنس ـ دراسات فى ثورة ١٩١٩ ـ سلسلة "اقرأ" رقم ٤١٨ ـ ص ٢١٢.

البرنامج، الذى صاغه الشيخ محمد عبده فى ديسمبر سنة ١٨٨١ على أن: **"الحزب الوطنى حزب سياسى، ليس دينياً، فإنه مؤلف من رجال مختلفى العقيدة والمذهب، وجميع النصارى واليهود وكل من يحرث أرض مصر ويتكلم لغتها منضم إليه ـ لأنه لا ينظر لاختلاف المعتقدات، ويعلم أن الجميع إخوان، وأن حقوقهم فى السياسة والشرائع متساوية. وهذا مسلم به عند أخص مشايخ الأزهر الذين يعضدون هذا الحزب ويعتقدون أن الشريعة الإسلامية الحقة تنهى عن البغضاء، وتعتبر الناس فى المعاملة سواء".**[١]

فى هذه المادة يؤكد الشيخ محمد عبده أن هذا الموقف ليس موقف الحزب فحسب، ولكنه موقفه هو مع زملائه من علماء الأزهر، وأن الشريعة الإسلامية الحقة تعتبر الناس فى المعاملة سواء[٢].

(٤) – عرابى والأقباط:

كانت ثورة عرابى تعبيراً عن وعى المصريين بكرامة الإنسان[٣]. وليس هنا مجال الحديث عن ثورة عرابى، وإنما نكتفى بالقول بأنه كان يقدِّر وطنية الأقباط، ويعمل على زيادة أواصر الوحدة بين أبناء الشعب الواحد، وقد سعى لدى الخديوى توفيق لمنح بطرس غالى رتبة الباشوية[٤].

وعندما قامت الحرب بين عرابى والإنجليز، انضم الأقباط إلى عرابى وأيدوه وقدموا التبرعات والمساعدات إلى الجيش المصرى. ومن أبرز الأسماء

---

(١) سميرة بحر ـ الأقباط فى الحياة السياسية المصرية ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٨٤ ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ ص ٢٧

(٢) وليم سليمان قلادة ـ المرجع السابق ـ ص ٢٣٢.

(٣) وليم سليمان قلادة ـ المرجع السابق ـ ص ٢٢٩.

(٤) سميرة بحر ـ المرجع السابق ـ ٢٨ ، عبد التواب يوسف ـ الهلال والصليب ـ مكتبة روزاليوسف ـ سنة ١٩٨٠ ـ ص ٣٩.

القبطية التى تبرع أصحابها لمساعدة الثورة، ميخائيل اثناسيوس وشقيقه حنا اثناسيوس من اشروبة بالمنيا، كما تبرع رفلة خزام من ناحية قلوصنا بمديرية المنيا، وعائلة عبد النور اقلاديوس بجرجا، ويوسف عبد العال بملوى[١].

وعندما قرر الخديوى توفيق عزل عرابى، دعا عرابى إلى عقد جمعية وطنية يوم ١٨٨٢/٧/١٧ ضمت أعيان البلاد ووجهائها، بلغ عددهم أربعمائة عضو، وكان من بينهم البابا كيرلس الخامس، الذى وقّع مع الحاضرين على القرار الشهير الذى أصدرته تلك الجمعية، والذى ينص على استمرار الحرب ضد الاحتلال الإنجليزى وإبقاء عرابّى فى منصبه كوزير للحربية ليتولى شئون الدفاع عن البلاد ضد الاحتلال، وأن الإنجليز خرجوا عن تعاليم المسيحية الحقة التى تدعوا إلى السلام وعدم الاعتداء [٢] .

ومن الذين لعبوا دوراً هاماً فى الثورة العرابية، تادرس شنودة المنقبادى، وكان يعمل معاوناً لوابورات النيل بأسيوط، فقد أمر جميع "الوابورات " بنقل الجنود والمهمات والمؤن فى النيل من الوجه القبلى إلى اسيوط ثم القاهرة[٣].

وكانت تعليمات جميع زعماء الثورة بلا استثناء تقضى بأن لايقول أحد أن هذا قبطى وذاك مسلم، حتى أنهم كانوا يزورون البطريرك كيرلس الخامس بلا انقطاع ويطلبون منه الدعاء. كما أن خطيب الثورة ـــ عبد الله النديم ـــ كان يخطب فى جميع النوادى والتجمعات، ومعه زميل له من الاقباط اسمه مرقس نبيه، وكانت الخطب كلها مركزة على الوحدة المتينة بين المسلمين والأقباط[٤].

---

(١) عبد المنعم ابراهيم الدسوقى الجميعى ــ الثورة العرابية ــ بحوث ودراسات وثائقية ــ القاهرة سنة ١٩٨٢ـ ص ١٦٦ - ١٦٧.

(٢) سميرة بحر ــ المرجع السابق ــ ص ٢٩، زاهر رياض ــ المرجع السابق ــ ص ١٠١.

(٣) سميرة بحر ــ المرجع السابق ــ ص ٢٩، عبد التواب يوسف ــ المرجع السابق ص ٤٠، زاهر رياض ــ المرجع السابق ــ ص ١٠١.

(٤) سميرة بحر ــ المرجع السابق ــ ص ٢٨.

(٥) – ثورة سنة ١٩١٩:

تجلت الوحدة الوطنية فى أروع صورها خلال ثورة سنة ١٩١٩، فقد شارك الأقباط مع إخوانهم المسلمين مشاركة فعلية وقلبية فى جميع أحداثها[1].

وليس هنا محل الحديث المفصل عن ثورة سنة ١٩١٩، فهذا مجاله المؤلفات العديدة التى وضعت بشأنها، وانما نكتفى هنا ببيان بعض صور الوحدة الوطنية التى تألقت فى هذه الثورة.

(أ) ثورة الشعب كله:

يقول الكاتب الكبير مصطفى أمين فى مذكراته:" ... إن أعضاء الوفد من الأقباط ظلوا صامدين إلى جوار سعد أكثر من كثير من اعضاء الوفد المسلمين...

"وعندما نفى الانجليز سعد زغلول فى سنة ١٩٢١ إلى سيشيل كان البيان الذى أصدره الوفد احتجاجاً على نفيه بتوقيع خمسة أعضاء فقط.. فيهم مسلم واحد هو مصطفى النحاس، وأربعة من الأقباط هم واصف غالى وسينوت حنا، وويصا واصف، ومكرم عبيد.

"وأعضاء الوفد الذين نفاهم الانجليز إلى سيشيل كانوا ستة، اربعة منهم من المسلمين هم: سعد زغلول، وفتح الله بركات، ومصطفى النحاس، وعاطف بركات؛ واثنان من الأقباط هما: سينوت حنا ومكرم عبيد.

"وأعضاء الوفد الذين حكم عليهم بالإعدام كانوا سبعة، ثلاثة من المسلمين هم : حمد الباسل، ومراد الشريعى، وعلوى الجزار؛ وأربعة من الأقباط هم: مرقس حنا، وواصف غالى، وجورج خياط، وويصا واصف.

---

[1] انظر مقالنا بعنوان "كلمة عتاب إلى بعض أقباط المهجر " ــ الاهرام ــ فى ١٩٩٢/٨/١٢.

" وأعضاء الوفد الذين نفاهم الانجليز إلى الصحراء فى معسكر المحاريق كانوا سبعة، أربعة من المسلمين هم : المصرى السعدى، والسيد حسين القصبى، ومحمد نجيب الغرابلى، والشيخ مصطفى القاياتى؛ وثلاثة من الأقباط هم: فخرى عبد النور، وسلامة ميخائيل، وراغب اسكندر.

"وهكذا كان سعد على حق فى إصراره على أن يشترك الأقباط فى قيادة الثورة، فقد حملوا أكثر من نسبتهم العددية فى أخطارها. وهذا يفسر أنه عندما ألف سعد زغلول وزارته الأولى سنة ١٩٢٤ اختار وزيرين من الأقباط ... وعندما عرض قائمة الوزراء على الملك فؤاد، تأمل القائمة وقال:

- يوجد خطأ فى أسماء الوزراء ... أن التقاليد أن يكون عدد الوزراء عشرة بينهم وزير قبطى واحد...

فقال له سعد :

- هذه ليست وزارة تقاليد .. إنها وزارة ثورة.. وعندما كان الانجليز يطلقون علينا النار فى الثورة لم يراعوا النسبة بين الأقباط والمسلمين ... واضطر الملك فؤاد أن يوقع مرسوم الوزارة بتعيين اثنين من الأقباط وثمانية من المسلمين..."[١].

والقصد من سرد هذه القوائم والأسماء - كما يقول المستشار طارق البشرى - هو "بيان أن القبط لم يكونوا بمعزل عن قيادة الحركة الوطنية ولا عن أى من تشكيلات الوفد الدائمة أو المؤقتة فى أى ظروف، **وأنهم لم يكونوا يمثلون فيه طائفة معينة ولا كان اختيار أحدهم أو غيرهم يتم على أساس من**

---

[١] مصطفى أمين - من واحد لعشرة - الطبعة الثالثة - كتاب اليوم سنة ١٩٩٠ - العدد ٣١٠ - ص ١٢٧ - ١٢٨.

انظر ايضاً: طارق البشرى - المرجع السابق - ص ١٤٩ وما بعدها، رياض سوريال - المرجع السابق - ص ١١٤ ، مذكرات فخرى عبد النور - سنة ١٩٩٢ - ص٣٣١ وما بعدها.

الانتماء الطائفى له، ولا كانوا يشغلون نسبة معينة من عدد أعضاء أى تشكيل، ولا يظهر من استقراء الأسماء فى كل مجال ـ ما أشير إليه هنا كمثال وما لم يشر ـ أن كان ثمة حدود دنيا أو قصوى قد التُزمت. فلا يبقى أساس للاختيار إلا الايمان بمبادئ الوفد ومدى الفاعلية فى النشاط وأداء العمل المطلوب ..."[1].

ويواصل الكاتب الكبير مصطفى أمين ـ الذى تربى فى بيت سعد زغلول وعايش أحداث الثورة ـ قوله: " ... كان أكثر ما يزعج الانجليز وحدة الشعب فى أثناء الثورة ـ ونجاح سعد فى أن جعل الصليب والهلال يتعانقان فى علم الثورة، وأصبح المشايخ يخطبون فى الكنائس، والقساوسة يخطبون فى المساجد، وبدأ الانجليز يحاولون إثارة الفتنة بين المسلمين والأقباط، محاولين تمزيق وحدة الأمة، مدعين أنهم يحتلون مصر ليحافظوا على أرواح الأقباط من مذابح المسلمين. وكان سعد يقاوم هذه الفتنة فى خطب ونداءات. وكان من بين خطبه المشهورة قوله: احذروا هذه الدسيسة، واعلموا أن ليس هناك أقباط ومسلمون، ليس هناك إلا مصريون فقط. ومن يسمونهم أقباطاً كانوا ولا يزالون انصاراً لهذه النهضة. وقد ضحوا كما ضحيتم فاحثوا التراب فى وجوه أولئك الدساسين. لولا وطنية فى الأقباط، واخلاص شديد، لتقبلوا دعوة الاجنبى لحمايتهم، وكانوا يفوزون بالجاه والمناصب بدل النفى والاعتقال، ولكنهم فضلوا أن يكونوا مصريين معذبين محرومين من المناصب والجاه والمصالح، يسامون الخسف، ويذوقون الموت والظلم، على أن يكونوا محميين باعدائهم وأعدائكم". وترجم نجيب الريحانى المسيحى خطاب سعد إلى أغنية، خرجت فرقته وهو على رأسها، تمشى فى الشوارع والجماهير تردد وراءها أغنية تقول: "إوع يمينك! إوع شمالك! إوع الفتنة توقف حالك. إن كنت صحيح بدك تخدم وعاوز مصر تتقدم، لا تقول نصرانى ولا مسلم ولا يهودى، ياشيخ اتلم. اللي أوطانهم

---

[1] طارق البشرى ـ المرجع السابق ـ ص ١٥١.

تجمعهم، عمر الأديان ما تفرقهم". وأصبحت هذه الأغنية على كل لسان، الرجال والنساء والأطفال يرددونها، الفلاحون والعمال يترنمون بها، لم تحملها اليهم اذاعة، ولم تنشر فى صحيفة، ولم تطبع على اسطوانات، ولكن شعباً بأسره كان يغنيها فى كل مكان، وكأن الملايين كانوا يردون فى وقت واحد رداً حاسماً على الفتنة التى دبرها الانجليز"[1].

وكتب فخرى عبد النور فى مذكراته: ".. فى المظاهرات كان علماء الأزهر وقساوسة الأقباط، يسيرون فى المقدمة جنباً إلى جنب، والاعلام ترفرف فوق رؤوسهم، يتعانق فيها الهلال والصليب. وفى الأزهر والمساجد الكبرى، فى القاهرة والمدن والقرى، كان أبرز الخطباء هم العلماء والقساوسة، بل لقد كان القساوسة أنفسهم يرأسون بعض الاجتماعات الوطنية التى كانت تقام فى المساجد، كما كان العلماء يرأسون بعض الاجتماعات التى كانت تقام فى الكنائس، وكان الخطباء بالكنائس فى الاعياد القبطية من المسلمين، كما كان الخطباء بالمساجد فى الأعياد الاسلامية من الأقباط: هذا المظهر كان أبرز كسب "للحركة الوطنية المصرية"، وهى لم تزل بعد تخطو خطواتها الأولى ..."[2].

وقد أراد الانجليز أن يثنوا واصف غالى عن كفاحه الثورى، فقالوا له: كيف تضع يدك فى يد من قتلوا والدك (المرحوم بطرس غالى باشا رئيس مجلس الوزراء الذى أغتيل سنة ١٩١٠) فقال لهم: أفضّل أن أضع يدى فى يد من قتلوا أبى على أن أضع يدى فى يد من قتلوا وطنى[3].

---

(١) مصطفى أمين ــ المرجع السابق ــ ص ١٨٢ ــ ١٨٣.

(٢) مذكرات فخرى عبد النور ــ المرجع السابق ــ ص ٥٨.

(٣) مصطفى أمين ــ تقديم مذكرات فخرى عبد النور ــ المرجع السابق ــ ص ١٢، طلعت يونان ــ سجل الوحدة الوطنية أكبر من تضليل الشائعات ــ ملحق أهرام الجمعة ١٩٨١/٦/٢٦.

ولا يستطيع كل من يكتب عن ثورة سنة ١٩١٩، أن يغفل الحديث عن القمص مرقس سرجيوس ــ الذى وصفه الدكتور حسين مؤنس بأنه كان زوبعة ثائرة لا تسكن، وذكر العديد من أوجه الشبه بينه وبين عبد الله النديم[١]. هذا الثائر العظيم وقف ذات يوم على منبر الأزهر الشريف وقال: **إذا كان الانجليز يتمسكون ببقائهم فى مصر بحجة حماية الأقباط، فإننى أقول ليسقط الأقباط ويحيا المسلمون أحراراً** [٢].

ويبرز المستشار الدكتور وليم سليمان قلادة، الجذور التاريخية لوحدة الشعب المصرى، بمسلميه وأقباطه، فيقول: .. إن المسيحيين المصريين الذين واجهوا الصليبيين، والمسلمين المصريين الذين واجهوا العثمانيين ــ هؤلاء جميعاً وقفوا صفاً واحداً ضد المستعمر الانجليزى. وفشل هذا فى مصر، فى حين أنه نجح فى الهند وقبرص، **والسبب تراث الوحدة العريق الذى اكتمل على ضفاف النيل** .... لقد تعلم الشعب المصرى كله فى المدرسة التى امتدت منذ عام ٤٥١ (تاريخ انشقاق كنيسة مصر عن بيزنطة، إلى دخول عمرو بن العاص مصر عام ٦٤٠). **إن أبناء هؤلاء المصريين الذين اكتسبوا الخبرة طوال قرنين فى كشف استغلال الدين ضد طبيعته، هم الذين وقفوا بعد الاسلام ضد كل عملية خداع باسم الدين الجديد... فلم ينخدع الشعب باسم الاسلام حين أراد نابليون أن**

---

(١) حسين مؤنس ــ المرجع السابق ـ ص ٢٢٦ ويضيف قائلاً: "إن أمة فيها أمثال عبد الله النديم ومرقس سرجيوس لا يمكن أن تموت"

(٢) طارق البشرى ــ المرجع السابق ــ ص ١٣٦.

وبمناسبة وفاة القمص مرقص سرجيوس كتب الاستاذ لطفى الخولى هى الأهرام يقول: " ... إن تاريخ حياة سرجيوس جزء لا يتجزأ من تاريخ نضال الشعب المصرى بكل آلامه وآماله نحو غد أفضل... كانت مضر كلها هى كنيسته الحقيقية التى وهبها حياته ونضاله وعلمه وفكره...والحق أنه إذا كانت ثورة عرابى قد انجبت نموذجاً تقدمياً من رجال الدين تجسد فى الامام الشيخ محمد عبده، فإن ثورة ١٩١٩ قد أنجبت أيضا نموذجها التقدمى: القمص مرقس سرجيوس..." (الاهرام فى ١٩٦٤/٩/٢٤).

يخادعه بها ويلهيه ويلبس عليه بأنه عدو المسيحية ... وهذا الشعب الصابر المكافح لم تخدعه نسبة الاسلام حين كان الاتراك المسلمون بالاسم يزعمون أن سلطانهم هو خليفة المسلمين وحاميهم وصاحب الأمر فيهم وظل الله على الأرض"[1]

وكتب محمد حسنين هيكل يقول: "في مصر جرب الاستعمار الأوربي وفشل، في خلق مشكلة طائفية لأن وعى الأقباط والمسلمين معاً أفسد عليه المحاولة وواجهه بوحدة وطنية تماسك فيها الصليب مع الهلال ورفرفا معاً في علم واحد رفعته الثورة الوطنية سنة ١٩١٩ على رأسها"[2].

وفي كلمة التهنئة التي وجهها الرئيس محمد حسنى مبارك إلى الاقباط في عيد القيامة المجيد سنة ١٩٨٣، قال : "... **في ثورة سنة ١٩١٩ تعانق الهلال والصليب بصورة ستظل أبد الدهر نموذجاً فريداً للتعايش بين مختلف العقائد والأديان.** وكانت صيحة "الله أكبر" التي رددها المسلمون والمسيحيون في أكتوبر المجيد بشير النصر العزيز الكريم..." [3].

ويؤكد الاستاذ الدكتور حسين مؤنس أن تلك الصورة الرائعة لوحدة أبناء الوطن، المسلمين والأقباط، هي "**الدستور الأكبر**" ـــ لا دستور سنة ١٩٢٣ ـــ "لأن وحدة مصر هي السد الهائل الذي يحمي مصر وكل عالم العرب ... إنها الدرع الواقي لعالم العرب الشاسع"[4].

---

[1] وليم سليمان قلادة ـ المقال السابق، تيارات الفكر المسيحي ... ص ٩٣ . وقد أشار إلى كتاب محمود الشرقاوي في الجبرتي وكفاح الشعب ـ ص ١٧٤.

[2] محمد حسنين هيكل ـ بصراحة ـ الاهرام يوم ١٩٦٦/٥/١٣.

[3] انظر الكلمة كاملة في الصحف الصادرة يوم ١٩٨٣/٥/١٢.

[4] حسين مؤنس ـ المرجع السابق ـ ص ٢٤٨.

(ب) مقاطعة الأقباط لرئيس الوزراء القبطي:

كان الشعب المصرى قد اجمع على مقاطعة لجنة ملنر، واستقالت لهذا السبب وزارة محمد سعيد باشا فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩١٩، فعمد اللورد اللنبى إلى تكليف قبطى هو يوسف وهبة باشا بتأليف الوزارة فى تلك الظروف الحرجة بقصد ضرب الوحدة الوطنية.

وكان الأقباط هم أول المستائين من هذا الموقف ففى صباح يوم ٢١ نوفمبر سنة ١٩١٩ ـ أى قبل أن يصدر المرسوم السلطانى بتشكيل وزارة وهبة باشا ـ اجتمع ما يربو على الفى قبطى فى الكنيسة المرقسية الكبرى للاحتجاج على قبول يوسف وهبة باشا رئاسة الوزارة الجديدة. وأرسل إليه الحاضرون برقية، جاء فيها " .. نستحلفكم بالوطن المقدس وبذكرى أجدادنا العظام أن تمتنعوا عن قبول هذا المنصب الشائن".

وبعد تشكيل الوزارة، وفى صباح يوم الاثنين ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٩، كان يوسف وهبة باشا متجهاً بسيارته إلى وزارة المالية، وعند مروره فى شارع سليمان باشا (طلعت حرب الآن) كان ينتظره "عريان يوسف سعد" الذى ألقى عليه قنبلتين الواحدة وراء الأخرى، وانفجرتا، ولكنهما لم تصيبا السيارة ولا رئيس الوزارء. وارتفعت أصوات من المارة تصرخ: إهرب .. إهرب . ولكن الشاب وقف فى مكانه واستسلم للشرطة،وأعلن فى هدوء أنه طالب بكلية الطب، وأنه قبطى أراد أن يقتل رئيس الوزراء الخائن. وعندما سئل:

ـ كانت أمامك فرصة للهرب، لماذا لم تنتهزها؟

أجاب:

ـ خوفاً من أن يتهموا مسلماً بمحاولة قتل رئيس الوزراء القبطى.

وأمام محكمة عسكرية تمت محاكمة هذا الشاب، واستغرقت المحاكمة يوماً واحداً، وحكم عليه بالأشغال الشاقة لمدة عشر سنوات. وأفرجت عنه وزارة سعد زغلول سنة ١٩٢٤. [١]

(جـ) التمثيل النيابى لم يعرف الطائفية:

استوعب الشعب المصرى ـ ذو الدم الواحد والعيش المشترك ـ درس الوحدة الوطنية، فكان فى التصويت اثناء المعارك الانتخابية لا يتعامل مع المرشحين بصفتهم الدينية، ولكن بما لهم من رصيد وطنى.

وكان حزب الوفد حريصاً فى كافة المعارك الانتخابية التى خاضها على محاربة أية نعرة طائفية أو عصبية عائلية، من ذلك مثلاً أنه رشح ويصاواصف ـ وهو من الصعيد ـ فى المطرية دقهلية التى لايوجد بها قبطى واحد، ومع ذلك فاز مكتسحاً منافسه المسلم. وقد وقف بعد ذلك ويصا واصف فى إحدى دوائر المنيا يقول "اننى أمثل فى البرلمان دائرة لا قبطى فيها غير نائبها"[٢].

وفى انتخابات سنة ١٩٢٥ نجح مرشح الوفد "بطرس حكيم" فى دائرة المراغة، بلدة أسرة الشيخ المراغى. كذلك اعتاد الوفد أن يرشح فى دائرة الدلنجات بالبحيرة، وهى دائرة لقبائل بدو عربية حديثة التوطن، غالى إبراهيم،

---

(١) سميرة بحر ـ المرجع السابق ـ ص ٨٩، عبد التواب يوسف ـ المرجع السابق ـ ص٤٩ ـ ٥٠، جمال بدوى ـ الفتنة الطائفية فى مصر ـ جذورها وأسبابها ـ منشورات المركز العربى للصحافة ـ سنة ١٩٨٠ ـ ص ٥٢، رمزى ميخائيل جيد ـ الوحدة الوطنية فى ثورة ١٩١٩ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٠ ـ ص ٥٦.

(٢) طارق البشرى ـ المرجع السابق ـ ص ٢١٨، سميرة بحر ـ المرجع السابق ـ ص ١٣٠.

وعندما اجتمع مجلس النواب الوفدى، وانتخب ويصا واصف رئيساً له، تحدث في أول خطاب له بعد انتخابه عن الوحدة الوطنية قائلاً "إنى أرى عاملاً آخر أثر فى تحديد ثقتكم بى، أردتم القضاء على هذه الحركة الاثيمة التى كانت ترمى إلى انفصام وحدة الأمة ....." ـ طارق البشرى ـ المرجع السابق ـ ص ٢١٨.

وهو ليس من أهل الدائرة، وكان يفوز في الانتخابات، كما رشح راغب اسكندر في دائرة اشمون ضد عيسوى باشا زايد حيث عصبيته هناك [1].

وكتب الأستاذ الكبير المرحوم عبد الرحمن الشرقاوى: "أذكر أن الدائرة الانتخابية التى تنتمى إليها قريتى، اختارت محامياً صغيراً من الاقباط، على أحد كبار الباشوات المسلمين من أصحاب الثراء والجاه العريض ... ذلك أن الناس

---

[1] طارق البشرى ـ المرجع السابق ـ ص ٢٢٠، عبد العظيم أنيس ـ مدخل عام إلى المشكلة الطائفية ـ ضمن مجموعة بحوث بعنوان "المشكلة الطائفية فى مصر ـ مركز البحوث العربية" ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨ ـ ص ٢٣.

ويذكر المستشار طارق البشرى بياناً بالانتخابات العشرة التى أجريت فى ظل دستور سنة ١٩٢٣ (منها انتخاب واحد طبقاً لدستور إسماعيل صدقى سنة ١٩٣١)، وقد بيَّن عدد الاقباط الذين فازوا فى هذه الانتخابات على النحو الآتى:

ـ فى الانتخابات الأولى التى أجريت سنة ١٩٢٤ كان العدد الكلى لاعضاء مجلس النواب ٢١٤ منهم ١٦ قبطياً.

ـ فى الا نتخابات الثانية سنة ١٩٢٥ كان العدد الكلى ٢١٤ منهم ١٥ قبطياً.

ـ فى الانتخابات الثالثة سنة ١٩٢٦ كان العدد الكلى ٢١٤ منهم ١٧ قبطياً.

ـ فى الانتخابات الرابعة سنة ١٩٢٩ كان العدد الكلى ٢٣٥ منهم ٢٣ قبطياً.

ـ فى الانتخابات الخامسة سنة ١٩٣١ (طبقاً لدستور إسماعيل صدقى) كان العدد الكلى ١٥٠ منهم أربعة أقباط فقط.

ـ فى الانتخابات السادسة سنة ١٩٣٦ (بعد إعادة العمل بدستور سنة ١٩٢٣) كان العدد الكلى ٢٣٢ منهم ٢٠ قبطياً.

ـ وفى الانتخابات السابعة سنة ١٩٣٨ (التى لم يفز فيها الوفد إلا باثنى عشر مقعداً) كان العدد الكلى ٢٦٤ منهم ستة أقباط فقط.

ـ وفى الانتخابات الثامنة سنة ١٩٤٢ كان العدد الكلى ٢٦٤ منهم ٢٧ قبطياً.

ـ وفى الانتخابات التاسعة سنة ١٩٤٥ (التى قاطعها الوفد وكان قد انشق مكرم عبيد وبعض رجال الوفد وكونوا حزب الكتلة الوفدية) كان العدد الكلى ٢٦٤ منهم ١٢ قبطياً.

ـ وفى الانتخابات العاشرة سنة ١٩٥٠ كان المجموع الكلى ٣١٩ منهم عشرة أقباط فقط.

وقد لاحظ المستشار طارق البشرى أنه فى الانتخابات التى كان يحصل فيها الوفد على الاغلبية (باستثناء الانتخابات الأخيرة سنة ١٩٥٠) كان الاقباط يحصلون على نسبة عالية، والعكس بالعكس (طارق البشرى ـ المرجع السابق ـ ص ٢٢٣ ـ ٢٢٤).

هناك ـ وأكثرهم مسلمون ـ رأوا فى المحامى الناشئ القبطى تعبيـراً أكمل عن آمالهم القومية، وتمثيلاً أصدق لإرادتهم فى مجلس النواب" [1].

ويقول الأستاذ إبراهيم نافع إنه " .. عندما اختلف مكرم عبيد مع مصطفى النحاس، وهما شريكان فى وزارة ١٩٤٢، كان الذى يدير الحملة ضد النحاس من معسكر مكرم، الأستاذ أحمد قاسم جودة والأستاذ جلال الدين الحمامصى، وهما مسلمان. **ولم ينظر أحد إلى الخلاف على أساس أنه خلاف بين قبطى ومسلم، وإنما بين زعامات وطنية سياسية لكل منها رؤيتها وأنصارها ومشروعها...** "[2] .

(٦) ـ بناء المساجد والكنائس :

نظراً لأهمية وحساسية هذا الموضوع، فإننى أتناوله بشىء من التفصيل فيما يلى :

(أ) الخط الهمايونى المفترى عليه :

صدر الفرمان العالى الموشح الخط الهمايونى فى أوائل شهر جمادى الآخر سنة ١٢٧٢هـ ـ فبراير سنة ١٨٥٦م فى عهد السلطان عبد المجيد خان بن

---

[1] عبد الرحمن الشرقاوى ـ خواطر حرة ـ صحيفة الأهرام ـ ١٩٨٧/٣/٢٥.

[2] إبراهيم نافع ـ بهدوء ـ وحدتنا الوطنية هل هى فى خطر حقاً؟ ـ صحيفة الاهرام فى ٢٢ مايو سنة ١٩٩٢.

وفى هذا الصدد يقول الأستاذ مصطفى نبيل رئيس تحرير مجلة الهلال: "..**يؤكد تتابع الأحداث أن مكرم لم يكن ممثلاً للقبط، ولا كان زعيماً لهم، بل كان زعيماً مصرياً منهم،** سواء عندما كان فى الوفد أو بعد خروجه منه وتأسيسه حزب الكتلة... وعندما اغتيل حسن البنا كان مكرم عبيد هو السياسى الوحيد الذى تحدى القصر والحكومة، واخترق صفوف الشرطة، وقدم العزاء، وصحب أفراد أسرته إلى مثواه الأخير..." (مصطفى نبيل ـ مصريون فى بلاد العرب ـ مكرم عبيد وعروبة مصر ـ مجلة الهلال ـ عدد مايو سنة ١٩٨٧ ـ ص ٧٢ وما بعدها).

محمود خان، الذى تولى حكم الامبراطورية العثمانية بين عامى ١٨٣٩-١٨٦١[١].

ويلاحظ على نصوص هذا الفرمان ما يأتى :

١ ـ الثابت من ديباجة هذا الفرمان أن الغرض من إصداره هو الإصلاح العام، إذ جاء بها "لما كان من أقدم أفكارى الخيرية السلطانية تحصيل سعادة الأحوال لصنوف تبعتى الشاهانية التى هى وديعة البارى ليدى المؤيدة الملوكانية واستكمالها من كل جهة .. لجميع صنوف تبعتى الشاهانية المرتبطين بعضهم بالروابط القلبية الوطنية والمتساوين فى نظر معدلة شفقتى الملوكانية ...". وواضح من هذه الديباجة أن هذا الفرمان العالى كان أحد أعمال الاصلاح التى قامت بها السلطة العثمانية فى ذلك الوقت، فقد تحدثت عن سعادة الأحوال الكاملة من جهة، وأن هذه السعادة تشمل " جميع صنوف تبعتى الشاهانية" و"المتساوين" فى نظر السلطان.

٢ ـ هذا الفرمان قد صدر ليطبق فى جميع أنحاء الامبراطورية، ولم يكن مقصوداً به مصر وحدها، والحديث فيه عن الطوائف ليس مقصوداً به الأقباط وحدهم[٢].

٣ ـ صدر هذا الفرمان وقت أن كان خديوى مصر هو سعيد باشا (تولى الحكم بين عامى ١٨٥٤ ـ ١٨٦٣) وهو الوالى الذى رفع الجزية نهائياً عن الأقباط، وأتاح لأبنائهم الانخراط فى سلك الجندية. كما أن بطريرك الأقباط وقت صدور هذا الفرمان كان البابا كيرلس الرابع الملقب بأبى الاصلاح (١٨٥٤ ـ ١٨٦١) وهو أول من استخدم مطبعة أهلية، وأنشأ

---

(١) هذا الخط الهمايونى منشور بالكامل فى "محيط الشرائع" للمرحوم الدكتور انطون صفير ـ المطابع الأميرية ـ القاهرة سنة ١٩٥٣ ـ المجلد الثالث ـ ص ٢٨٥٢ ـ ٢٨٥٧.

(٢) غالى شكرى ـ الاقباط فى وطن متغير ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩١ ـ ص ١٨٩.

المدارس لجميع المصريين دون تمييز بين قبطى ومسلم، وهو أول من فتح مدرسة للبنات، وأول من أقام مكتبة قومية، وأول من اهتم بالتعليم الرفيع المستوى لرجال الاكليروس والتعليم الفنى لعامة الشعب[1].

فى ظل هذا المناخ الاصلاحى التقدمى استقبل الاقباط فرمان الخط الهمايونى، الذى كان يهدف ـ أيضاً ـ إلى إصلاح أحوال الخلافة العثمانية من النواحى الآتية : ـ

١ ـ "حفظ الناموس فى حق جميع تبعتى الموجودين فى أى دين ومذهب كان، بدون استثناء". وهذا هو المبدأ المقرر فى الدساتير الحديثة بشأن المساواة بين جميع المواطنين أمام القانون دون تمييز بسبب اللون أو الجنس أوالعقيدة أوالدين.

٢ ـ " بعد أن تصلح أصول انتخاب البطاركة الجارى والحالة هذه، يصير كذلك إجراء أصول نصبهم (أى تنصيبهم) وتعيينهم لمدة حياتهم تطبيقاً إلى أحكام براءة البطركية العلية بالصحة والتمام". وهذا النص يتضمن استجابة لما كانت تطالب به الكنيسة وفقاً لعقيدتها التى تؤمن بأن أحداً لا يستطيع أن ينزع سلطة البابا طالما كان على قيد الحياة (إلا فى حالات العجز عن ممارسة مهامه، أو الجنون، أوالانحراف عن العقيدة).

٣ ـ "لا ينبغى أن تقع موانع فى تعمير وترميم الأبنية المختصة بإجراء العبادات فى المداين والقصبات والقرى التى جميع أهاليها من مذهب واحد، ولا فى باقى محلاتهم كالمكاتب والمستشفيات والمقابر حسب هيئتها الأصلية، ولكن إذا لزم تجديد محلات نظير هذه يلزم عندما سيتصوبها البطريرك أورؤساء الملة أن تعرض صورة رسمها وإنشائها مرة إلى بابنا العالى لكى تقبل تلك الصورة المعروضة ويجرى اقتضاؤها على موجب تعلق إرادتى

---

[1] غالى شكرى ـ المرجع السابق ـ ص ١٩٠.

السنية الملوكانية، أو تتبين الاعتراضات التى ترد فى ذلك الباب يظرف مدة معينة". **وواضح من تلك العبارة أن الأصل فى بناء الكنائس هو الاباحة المشروطة بموافقة البطريرك وتصديق السلطة الادراية**، وهـذا مـا أكدتـه عبارة تالية وردت فى ذات السياق جـاء بهـا: "متـى لزمهـا (الطائفـة) أبنيـة يقتضى إنشـاؤها جديـداً يـلزم أن تسـتدعى بطاركتهـا أو جماعـة مطارنتهـا الرخصة اللازمة من جانب بابنا العالى فتصدر رخصتنا عندمـا لا توجـد فـى ذلك موانع ملكية من طرف دولتنا العلية، والمعاملات التى تتوقع من طرف الحكومة فى مثل هذه الأشغال لا يؤخذ عنها شـئ .." وهـذا النـص يحـدد جهة الاعتراض الوحيدة على بناء الكنائس فى سطر واحـد وهـى أن تكـون موانع "ملكية" مـن طـرف "دولـتنا العليـة" ثـم جـاء الاعفـاء مـن أيـة مصاريف أوضرائب.

٤ ـ "ينبغى أن تؤخذ التدابير اللازمة لأجل تأمين مـن كـانوا أهـل مذهـب واحـد مهما بلغ عددهم ليجروا مذهبهم بكل حرية، تم تمحـى وتـزال مؤبـداً مـن المحررات الديوانية جميع التعبيرات والألفاظ والتمييزات التى تتضمن تدنى صنف عن صنف آخر من صنـوف تبعـة سـلطنتى السـنية بسـبب المذاهـب أواللسان أو الجنسية، ويمنع قانونـاً استعمال كـل نـوع تعريـف وتوصيـف يوجب الشين والعار أو يمس الناموس سواء كـان بيـن أفـراد النـاس أو مـن طرف المأمورين. ولما كانت قد جرت فرائض كل دين ومذهب يوجد فى ممالكى المحروسة بوجه الحرية **أن لا يمنع أحد أصلاً من تبعتى الشـهانية عن إجراء فرائض ديانته ولا يعاين مـن جـراء ذلـك جوراً ولا أذيـة، ولا يجبر أحد على ترك ديانته ومذهبه** ..." ولما كانت الامبراطورية العثمانيـة واسعة الأرجاء، واشتملت على التعدد اللونى والعرقـى والدينـى والمذهبـى، فكان من الواجب النص على التعددية والاقرار "بحفـظ النـاموس" للجميـع، كذلك كان من الواجب النص على حق ممارسة العقيدة بصفـة مطلقـة بمـا تشتمل عليه من حرية ممارسة العبادات والشعائر الدينية.

٥ ـ "إن جميع تبعة دولتي العلية من أية ملة كانوا سوف يقبلون فى خدمة الدولة ومأمورياتها فيستخدمون فى المأموريات امتثالاً إلى النظامات المرعية الاجراء فى حق العموم بحسب أهليتهم وقابليتهم، والذين هم من تبعة سلطنتي السنية يقبلون جميعاً عندما يفون الشرائط المقررة سواء كان من جهة السن أوالامتحانات فى النظامات الموضوعة للمكاتب بدون فرق ولا تمييز فى مكاتب دولتى العلية العسكرية والملكية..." والمقصود بذلك النص ـ كما يقول الدكتور غالى شكرى ـ هو أن الانتماء العضوى لجسم الدولة أصبح حقاً شرعياً مقرراً دون تفرقة أو تمييز بسبب الدين أوالمذهب أو اللون أوالعرق [1].

ويضيف الفرمان فى موضع تال: "**المساواة الحقوقية تستلزم المساواة فى الوظائف أيضاً، فينبغى أن يكون المسيحيون وباقى التبعة الغير المسلمة مجبورون أن ينقادوا إلى القرار المعطى أخيراً بحق إعطاء الحصة العسكرية مثل أهل الاسلام**" والمقصود هنا هو واجب أداء الخدمة العسكرية وحق الترقى إلى أعلى المناصب العسكرية.

هذه هى أهم المبادئ التى اشتمل عليها الخط الهمايونى، فهو إذن يعتبر وثيقة إصلاحية تقدمية بمقاييس الزمان الذى صدرت فيه.

والملاحظ أن النصوص الدستورية فى مصر قد تغيرت عدة مرات، ولم يعد هناك وجود للدولة العلية، ولا توجد الارادة السنية التى كانت مصدر السلطات.

ومع ذلك فإن الخط الهمايونى قد اشتمل على مفاهيم عظيمة ينبغى أن تستمر كحرية العقيدة وحرية ممارستها، وحق المواطنة الكاملة دون تمييز بين أصحاب الديانات والمذاهب. أما المفاهيم التى لا تقبل الاستمرار فهى كما

---

[1] غالى شكرى ـ المرجع السابق ـ ص ١٩٢.

لاحظ الدكتور غالي شكرى ـــ مفاهيم "اجرائية ظرفية مؤقتة، كان يجب أن تصحح نفسها بنفسها"[1].

الملاحظ على هذه المفاهيم الاجرائية ـــ والذى يعنينا منها هنا هو بناء الكنائس ـ أن جهة الادارة كانت تغض الطرف عنها فى أحيان كثيرة، وكان الاقباط ـ الذين رفعت الجزية عن كاهلهم، واشتركوا فى بناء الجيش المصرى، وعضوية مجلس شورى النواب ـــ يقومون ببناء الكنائس بدون الحصول على الترخيص المنصوص عليه فى الخط الهمايونى، وقد شجعهم على ذلك مناخ المساواة الذى ساد بين المواطنين. وليس أدل على ذلك من تقرير لجنة تقصى الحقائق التى شكلها مجلس الشعب المصرى برئاسة المرحوم الدكتور جمال العطيفى وكيل المجلس، فى أعقاب حوادث الفتنة الطائفية التى وقعت بالخانكة سنة ١٩٧٢، فقد جاء به: "طلبت اللجنة بياناً من الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء عن عدد الكنائس القائمة فى مصر أن عددها يبلغ ١٤٤٢ ولكن البيانات التى وافتنا بها وزارة الداخلية عن عدد الكنائس المسجلة لديها يدل على أنها ٥٠٠ كنيسة، منها ٢٨٦ كنيسة قبطية، وقد يرجع هذا الخلاف إلى أن جانباً من هذه الكنائس قد أقيم قبل صدور قرار وزارة الداخلية فى عام ١٩٣٤ ..." [2].

إذن المشكلة ليست فى الخط الهمايونى، وإنما فى قرار وكيل وزارة الداخلية الصادر سنة ١٩٣٤ الذى اشار إليه تقرير لجنة تقصّى الحقائق التى شكلها مجلس الشعب.

فما هى قصة هذا القرار؟!

فى فبراير سنة ١٩٣٤ أصدر القربى باشا وكيل وزارة الداخلية قراراً تضمن عشرة شروط لبناء الكنائس، قال إنه استلهمها من الخط الهمايونى، أى أن الخط المذكور كان بمثابة الاطار الدستورى لقرار وكيل وزارة الداخلية.

---

(١) غالى شكرى ـ المرجع السابق ـ ص ١٩٣.

(٢) تراجع مضبطة مجلس الشعب ـ الجلسة ١٣ ـ فى ١٩٧٢/١١/٢٨.

وقبل أن أعلق على هذا القرار، يهمنى أن أوضح المناخ السياسى الردئ الذى كان سائداً وقت صدوره، فقد صدر القرار المذكور بالشروط العشرة لبناء الكنائس، فى ظل حكومة انتقالية هشة لا تمثل الشعب، ألفها عبد الفتاح يحى باشا وهو فى باريس ولم تدم لأكثر من أربعة عشر شهراً (من سبتمبر ١٩٣٣ إلى نوفمبر ١٩٣٤) وجاء عبد الفتاح يحى باشا خلفاً لرئيسه إسماعيل صدقى باشا الذى كان قد تولى الوزارة فى أعقاب الصدام الكبير بين الملك فؤاد وحزب الوفد، وبعد يومين فقط من تولى إسماعيل صدقى باشا رئاسة الحكومة، أصدر الملك فؤاد مرسوماً بتأجيل انعقاد البرلمان، وأمر صدقى باشا بإغلاق بوابة المجلس النيابى بالسلاسل، فأمر ويصاواصف (رئيس المجلس فى ذلك الوقت) بتحطيم السلاسل، وعقد نواب الشعب اجتماعهم، ولكن إسماعيل صدقى بادر إلى صياغة دستور جديد سمى دستور ١٩٣٠، وهو أسوأ دستور عرفته الحياة النيابية المصرية، إذ انطوى فى معظم مواده على تعدٍ سافر على حقوق الشعب لمصلحة الملك، كما بادر إلى تأليف حزب هزيل سماه "حزب الشعب" ولم تستمر هذه المهزلة أكثر من ثلاث سنوات، إذ مرض إسماعيل صدقى وأسند الملك مهمة تأليف الوزارة إلى نائبه فى الحزب عبد الفتاح يحى.

هذا هو المناخ الردئ الذى صدر فى ظله قرار وكيل وزارة الداخلية، مناخ معادٍ للحريات الديمقراطية، ولا يستند إلى قاعدة شعبية صلبة، وتتولى الحكم شخصية باهتة جاءت بطريق الصدفة من حزب هزيل أنشئ لكبت الحريات ومصادرتها لمصلحة الملك[1].

---

(١) أما الشروط العشرة التى وردت بالقرار المذكور فهى :

١ ــ هل الأرض المرغوب بناء الكنيسة عليها هى من أرض الفضاء أو الزراعة، وهل هى مملوكة للطالب أم لا ، مع بحث الملكية من أنها ثابتاً ثبوتاً كافياً، وترفق أيضاً مستندات الملكية.

٢ ــ ما هى مقادير أبعاد النقطة المراد بناء الكنيسة عليها عن المساجد والأضرحة الموجودة بالناحية.

بعــد ذلــك، أبدى على قرار وكيل وزارة الداخلية الملاحظات الآتية :

١ ـ ادعى قـرار وكيـل وزارة الداخليـة أنـه استلهم الشـروط العشـرة مـن الخـط الهمايونى، وهذه مغالطة واضحة، لأن الخط الهمايونى كان إطاراً دستورياً لدولة الخلافـة العثمانيـة بجميـع أرجائهـا المتسعة، وقـد سـقطت الخلافـة العثمانية، وتغير دستور تركيا ذاتها، فكيـف يـأتى بعـد ذلـك وكيـل وزارة الداخلية المصرية ويصر على اعتماد مبادئ دستورية لدولـة لـم تعـد قائمـة، ولم تعد مصر ولاية فى امبراطوريتها [١].

٢ ـ الخط الهمايونى لم يكن مقصوراً على بنـاء الكنـائس والمعـابد، بـل تضمـن مفاهيم إصلاحية وتقدمية فى مجالات كثيرة ومنهـا حريـة العقيـدة، وحريـة ممارسة الشعائر الدينية، وحق المواطنة بما يتضمنه من المساواة بين جميـع المواطنين فى الحقــوق والواجبـات، فكيـف يـأتى بعـد ذلـك وكيـل وزارة الداخلية المصرية ويختزل كل هذه المبادئ والمفـاهيم فـى شـروط عشـرة

ـ ٣ ـ إذا كانت النقطة المذكورة من أرض الفضاء، فهل هى وسط أماكن المسلمين أوالمسيحيين.

٤ ـ إذا كانت بين مساكن المسلمين فهل لا يوجد مانع من بنائها.

٥ ـ هل يوجد للطائفة المذكورة كنيسة بهذه البلدة خلاف المطلوب بناؤها.

٦ ـ إن لم يكن بها كنائس فما مقدار المسافة بين البلد وبين أقرب كنيسة لهذه الطائفة بالبلدة المجاورة.

٧ ـ ما هو عدد أفراد الطائفة المذكورة الموجودين بهذه البلدة .

٨ ـ إذا تبين أن المكان المراد بناء كنيسة عليه قريب من جسور النيل والترع والمنافع العامة بمصلحة الرى، فيؤخذ رأى تفتيش الرى، وكذا إذا كانت قريبة من خطوط السكة الحديد ومبانيها فيؤخذ رأى المصلحة المختصة.

٩ ـ يعمل محضر رسمى عن هذه التحريات ويبين فيه مـا يجـاور النقطـة المـراد إنشـاء الكنيسـة عليهـا مـن المحلات السارية عليها لائحة المحلات العمومية والمسافة بين تلك النقطة وكـل محـل مـن هـذا القبيـل ويبعث به إلى الوزارة.

١٠ ـ يجب على الطالب أن يقدم مع طلبه رسماً عملياً بمقاس واحد فى الألف يوقع عليه من الرئيس الدينـى العام للطائفة ومن المهندس الذى له خبرة عـن الموقـع المـراد بنـاء الكنيسـة بـه، وعلـى الجهـة المنوطـة بالتحريات أن تتحقق من صحتها وأن تؤشر عليها بذلك وتقدمها مع أوراق التحريات.

[١] غالى شكرى ـ المرجع السابق ـ ص ١٩٣.

لبناء الكنائس؟! الرد على ذلك هو ما أشرنا إليه من أن المناخ السياسى الردئ الذى كان سائداً فى ذلك الوقت هو الذى أدى إلى اختزال كل ما انطوى عليه الخط الهمايونى من مبادئ الحرية والمساواة فى شروط عشرة لبناء الكنائس.

وفى هذا الصدد كتب الدكتور غالى شكرى: "إن مراحل الجزر الديمقراطى والاستغلال الاقتصادى البشع والتحلل الاجتماعى هى التى تبقى على الخط الهمايونى، وهى التى تختزله فى شروط عشرة لبناء الكنائس، وكأنها تنقض على أهم ما جاء فى فرمان السلطان عبد المجيد من مساواة فى الحقوق والواجبات بين جميع المواطنين أمام القانون. هذا هو الجوهر. أما اعتصار الفرمان لاستخلاص ما يناقض هذا الجوهر، فإنه يجعل من الخط الهمايونى قميص عثمان"[1].

٣ ـ منذ صدور قرار وكيل وزارة الداخلية فى فبراير سنة ١٩٣٤، تغيرت النظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية اكثر من مرة، فمن الملكية والاستعمار إلى الجمهورية والاستقلال، ومن النظام الشمولى إلى التعددية الحزبية، ومن الاقتصاد المقيد إلى التحرر الاقتصادى، ورغم ذلك لم يفكر أحد فى إعادة النظر فى تلك الشروط العشرة، بل ظل القرار الصادر بها ملزماً لمصر على تعاقب الأزمان والحكومات والعهود والأنظمة والسياسات، مع أن الثابت ـ كما سلف البيان ـ أن هذا القرار ثمرة من ثمار قوانين إسماعيل صدقى التى كانت تهدف إلى ضرب الديمقراطية والوحدة الوطنية ومصادرة الحريات وخاصة حرية الرأى والاعتقاد. [2].

---

[1] غالى شكرى ـ المرجع السابق ـ ص ١٩٤.

[2] غالى شكرى ـ المرجع السابق ـ ص ١٩٥.

(ب) الوحدة الوطنية أقوى من النصوص :

إن الوحدة الوطنية المتأصلة في أعماق الشعب المصرى، وروح المودة والسماحة التى ربطت بين المسلمين والاقباط، فرضت نفسها رغم قرار وكيل وزارة الداخلية، فكثيراً ما كان الأقباط يبنون الكنائس بدون استصدار الترخيص المطلوب، وقد سجل هذه الحقيقة تقرير لجنة تقصى الحقائق التى شكلها مجلس الشعب سنة ١٩٧٢، إذ جاء به ـ كما سلف البيان ـ أن عدد الكنائس القائمة فعلاً فى مصر يبلغ نحو ثلاثة أمثال عدد الكنائس المقيدة فعلاً فى سجلات وزارة الداخلية.

والأكثر من ذلك، فإن الإيمان الراسخ فى أعماق الشعب الواحد بأن المساجد والكنائس هى دور مقدسة لعبادة الإله الواحد، جعلت بعض الاقباط يبنون المساجد، وبعض المسلمين يبنون الكنائس. وفيما يلى أشير إلى بعض هذه الحالات.

١ ـ مسجد فى دير سانت كاترين :

يذكر الدكتور قاسم عبده قاسم أن دير "سانت كاترين" بسيناء، الذى بنى سنة ٥٤٥م ، كان يوجد بداخله مسجد بنى فى العصر الفاطمى (سنة ٤٩٧هـ ـ ١١٠٣م)، وكثيراً ما أشارت وثائق الدير إلى قيام الرهبان بترميم المسجد، أوإقامة مؤذن للمسجد، كما كانوا يقدمون للمسجد كل ما يحتاجه من زيت الوقود ومؤونة المؤذن، وكلما مات مؤذن أقام الرهبان غيره [1]

---

(١) قاسم عبده قاسم ـ أهل الذمة فى العصور الوسطى ـ الطبعة الأولى ـ سنة ١٩٧٧ ـ ص ١٣٤.

وعلى الجانب الآخر، يقول المورخون إن الشيخ ابن دقيق العيد وقف موقفاً حازماً تجاه مسألة هدم الكنائس التى افتى بعض الفقهاء بوجوب هدمها أثناء حوادث سنة ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م، وأفتى هو بعدم جواز هدمها (قاسم عبده قاسم ـ المرجع السابق ـ ص ١٧٠، سيدة إسماعيل كاشف ـ المرجع السابق ـ ص ٤٩).

ومن ناحية أخرى فقد حرصت القبائل فى سيناء على اعتبار الدير وممتلكاته أمانة فى أعناقها، وقامت بحماية الرهبان وخدمتهم بالدير، والدفاع عنهم بصد المعتدين من قطاع الطرق واللصوص، وتوصيل المؤن إليهم، وتسهيل سبل الزوار الوافدين على الدير من المسلمين والنصارى[1] .

٢ ـ جامع عوض عريان :

كتب الأستاذ عبد التواب يوسف يقول: " ... فى طفولتى ارتفع فى الحى الذى أسكنه ـ حى مقبل ببنى سويف ـ مسجد بناه مسيحى، ومازال المسجد يحمل اسمه: جامع "عوض عريان"، وكنت أحب اسم عريان .. فقد قرأت محمد سعيد العريان فى هذه السن، وسمعت عن "عريان سعد" الذى حاول أن يقتل رئيس الوزراء المسيحى، وأسعدنى أن يحمل الاسم مسيحيون ومسلمون ..."[2].

٣ ـ مطرانية "أبو تيج" :

وكتب الاستاذ الدكتور محمد سليم العوّا يقول: ... الكنيسة والمسجد اللذان أحرقا فى سوهاج فى ساعة واحدة فى يوم جمعة واحد (يقصد أحداث الفتنة التى وقعت سنة ١٩٨٧)، بناهما أحد أبناء سوهاج المسلمين. وأن مطرانية أبو تيج كبرى مطرانيات أسيوط مبنية على أرض تبرع بها الوطنى المعروف محمد بك همام من أعيان النخيلة. وما كان هؤلاء ليصنعوا ذلك إلا وهم يعتقدون

---

(١) رفعت السعيد ـ ماذا جرى لمصر ـ سنة ١٩٩١ ـ ص ٤٥، وقد أشار إلى الموسوعة المصرية ـ تاريخ مصر القديمة وآثارها ـ الهيئة العامة للاستعلامات ـ ص ٩٧٤، سيدة إسماعيل كاشف ـ المرجع السابق ـ ص ٣٥.

(٢) عبد التواب يوسف ـ الهلال والصليب ـ مكتبة روز اليوسف ـ يناير ١٩٧٠ ـ ص ٧ وجاء فى جريدة الجمهورية الصادرة يوم ١٩٨١/٩/١٤ تحت عنوان: "مسيحى يتبرع لمسجد عمرو بن العاص" ما يلى: "حبيب ميخائيل صاحب مصنع الميداليات والكئوس تبرع بمبلغ مائة جنيه لمسجد عمرو بن العاص. سبق له التبرع قبل ذلك لنفس المسجد".

أن ابناء مصر جميعاً يتوجهون بدينهم إلى رب واحد يعبدونه جميعاً. ولئن اختلفت الشعائر الظاهرة بين المسلمين والاقباط، ولئن تباينت بعض العقائد، فإن المحور الذى يدور أبناء الدينين حوله لواحد: عبادة الله تعالى والإيمان بالرسالة والرسول"[١] .

٤ ـ قبطي يبنى مسجداً وكنيسة :

كتب الاستاذ الدكتور صبحى عبد الحكيم (رئيس مجلس الشورى السابق): " ... لم يكن غريباً فى القرن الماضى أن يسهم بعض الأقباط فى بناء المساجد ووقف الأوقاف عليها. فقد أنشأ أحد الأقباط وهو مرقص بك يوسف فى طنطا عام ١٨٦٥ مسجداً فى بلدة جناح، كما أنشأ قلينى فهمى باشا مسجداً ضخماً وإلى جواره كنيسة بعزبته فى المنيا رمزاً للوحدة الوطنية ..."[٢].

---

[١] محمد سليم العوا ـ المرجع السابق ـ ص ٥٨.

ويروى المستشار ميلاد تادرس قصة الكنيسة التى بنتها الجمعية الخيرية القبطية بدمنهور، واعتراض فرع جمعية الاخوان المسلمين على بنائها لقربها من المسجد، وكيف توجه مع رئيس الجمعية الخيرية القبطية (المرحوم الدكتور فهمى مسعد) إلى القاهرة لمقابلة الشهيد حسن البنا بصفته رئيس جمعية الاخوان المسلمين " فاتصل المرحوم حسن البنا تليفونياً أمامنا بالسيد رئيس الفرع بدمنهور، وقال إنه لا يود أن يسمع أن الأخوان يقفون ضد بناء الكنيسة، بل عليهم أن يساعدوا فى البناء. وعدنا لدمنهور بعد أن طيب الشهيد حسن البنا خاطرنا وطمأننا، وأقميت الكنيسة ..." ـ انظر جريدة الاهرام فى ١٩٨٧/٤/١٦ باب بريد الاهرام.

كذلك يروى المستشار مجدى أمين جرجس ما حدث سنة ١٩٥٣ عندما توجه عضوان من مجلس قيادة الثورة هما القائمقام أنور السادات والصاغ وحيد رمضان إلى مدينة كوم حمادة، لافتتاح مسجد جديد ووضع حجر الاساس لكنيسة جديدة، وكيف تبرع الاقباط للمسجد، وتبرع المسلمون للكنيسة (جريدة الأهرام فى ١٩٨٧/٤/٢٠ باب بريد الاهرام).

[٢] صبحى عبد الحكيم ـ صور تاريخية مشرقة لوحدتنا الوطنية ـ صحيفة "مايو" التى يصدرها الحزب الوطنى الديمقراطى ـ يوم ١٩٨١/٦/٢٩.

٥ ـ جمع التبرعات لبناء الكاتدرائية المرقسية :

كتب الاستاذ الدكتور طاهر مرسى عطية (وكيل كلية التجارة ببور سعيد) كلمة مؤثرة بعنوان "الشيخ كيرلس" فى "بريد الأهرام" بصحيفة الأهرام يوم الخميس ١٠/٥/١٩٩٠، رأيت أن أنقلها كما هى : "كنا فى ذلك الوقت تلاميذاً صغاراً بالمرحلة الابتدائية فى مدرسة مكارم الأخلاق الإسلامية بشارع بين الجناين بالعباسية، حين أتى إلينا الشيخ على قرنى استاذ اللغة العربية والدين، ليبلغنا أن إخواننا المسيحيين قد شرعوا فى بناء كنيسة كبرى ـــ هى التى يطلق عليها اليوم الكاتدرائية المرقسية بشارع رمسيس ـ وأنهم يجمعون من بينهم التبرعات لبناء هذه الكنيسة، وأن الكنيسة بيت من بيوت الله ومن يساهم فى بنائها منا كأنه يساهم فى بناء مسجد، وأن الله سبحانه وتعالى سيرد لنا هذه المساهمة حسنات وحسنات. فأخذنا نتسابق فى التبرع من مصروفنا الخاص والذى لم يكن يتعدى فى هذه الأيام بضعة قروش أسبوعياً. كان بعضنا يتبرع بالملاليم أوبنصف القرش (التعريفة). ولما اكتمل لنا مبلغ رآه الشيخ على معقولاً، كوّن منا مجموعة ورتب لنا لقاء بصحبته مع البابا كيرلس السادس بابا الأقباط الراحل، وقد استقبلنا الرجل الفاضل أفضل استقبال، ويشهد الله أنه تأثر بلقائنا وبما قدمناه من تبرع صغير غاية التأثر، وعندما أخذنا نتجاذب معه أطراف الحديث، سمعنا منه ما أثلج صدورنا، **قال لنا إن دينكم دين عظيم، وأن أحد دلائل عظمته هو ما فعلناه نحن الصغار.** وعندما لا حظ البابا ارتباكنا لعدم معرفتنا كيف نناديه وبماذا ندعوه عندما نخاطبه اقترح علينا أن نناديه "**بالشيخ "كيرلس**" فضحك الشيخ على، سروراً ، وطلب منا بدوره، أن نناديه هو بـــ "**أبونا على**" بدلاً من الشيخ على. وانتهت المقابلة وخرجنا فى غاية السعادة. إننى أهدى هذا الموقف لمن يشككون فى سماحة الاسلام وعظمته، ولمن يتخيلون أنهم يخدمون دينهم بالاساءة إلى دين الآخرين، وأقول لهم سوف تبقى مصر دائماً وبإذن الله بلد المحبة وبلد التسامح وبلد كل المصريين"[١]. (انتهت الكلمة)

---

[١] صحيفة الاهرام ــ بريد الاهرام ــ يوم ١٠/٥/١٩٩٠.

٦ ـ المسلمون يساعدون الأقباط فى ترميم كنيسة:

كتب لواء شرطة بالمعاش سمير لبيب حنا يقول: "فى يناير سنة ١٩٥٦ كنت ضابطاً لنقطة أبو مناع بحرى مركز دشنا، وفى ذلك الوقت كان أقباط القرية يقومون بعمل ترميمات وتوسعات، وإذ شعرت العائلات المسلمة بأن الاقباط بحاجة إلى معاونة مالية لإنجاز عملية ترميم وتوسيع الكنيسة، تسارعوا لجمع التبرعات المطلوبة وأسهم زعماء عائلات العرب والمشايخ محمود موسى، ومحمود عبد المعطى، وعبد الفتاح الصغير، وكذا زعماء عائلات الهواره الشيخ محمود عمدة أبو مناع بحرى، والشيخ السباعى عمدة أبو مناع غرب. واستمرت التبرعات تتوالى حتى اكتملت التوسعات والترميمات على أفضل وجه. وعندما كان يحضر أسقف مطرانية قنا لزيارة القرية كان من الضرورى أن ينزل ضيفاً على عائلة مسلمة تكريماً واعزازاً لأقباط القرية"[١].

٧ ـ عبد الناصر وبناء الكنائس :

وفى المؤتمر الصحفى العالمى الذى عقده الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، فى أعقاب تأميم قناة السويس سنة ١٩٥٦، وحضره نحو أربعمائة صحفى من شتى نواحى العالم، اندفع صحفى فنزويلى نحو الرئيس الراحل وسأله:

ـ هل صحيح أنكم أمرتم ببناء كنيسة؟

فابتسم الرئيس وقال :

ـ كنيسة واحدة؟ ولماذا واحدة فقط، هذا بلد المصريين: مسلمين ومسيحيين، من مئات السنين .... فالمسجد مصرى والكنيسة مصرية .. نحن نقول: الدين لله والوطن للجميع .. هذا أحد شعاراتنا .. ألم تقرأ هذا الشعار؟

ـ تقصدون أن سياستكم الدينية تقوم على المساواة بين المسلمين والمسيحين؟

---

[١] صحيفة الاهالى ـ العدد ٥٨٨ فى ١٩٩٣/١/١٣.

ـ ليست لنا سياسة "دينية" .. سياستنا "مصرية" وهذا يكفى .. وأعداؤنا الذين يهددون بإعلان الحرب علينا إنما يهددوننا جميعاً: مسلمين ومسيحيين .. والعرب الذين طردهم الاسرائيليون من بلادهم مسلمون ومسيحيون .. هل يكفيك هذا الرد؟

ـ كل الكفاية .... أشكركم جداً [1].

والجدير بالذكر أن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قد اشترك مع قداسة البابا كيرس السادس، صبيحة يوم السبت الموافق ٢٤ يوليه سنة ١٩٦٥ فى وضع حجر الأساس للكاتدرائية المرقسية الجديدة بشارع رمسيس، وسط احتفال تاريخى أذيع على العالم أجمع، كما حضر الحفل فضيلة الشيخ أحمد حسن الباقورى. وقد أعلن الرئيس جمال عبد الناصر فى كلمته مساهمة الدولة فى نفقات الكاتدرائية بمبلغ مائة ألف جنيه، وأضاف قوله أنه لم يكن يقصد المساهمة المادية، فالمساهمة المادية أمرها يسير، ولكنه يقصد الناحية المعنوية، فهذه االثورة قامت أصلاً على المحبة ... وعلى الخير ... ولم تقم أبداً بأى حال من الأحوال على الكراهية أو على التعصب ... هذه الثورة قامت من أجل مصر ومن أجل العرب جميعاً ... هذه الثورة تدعو للمساواة وتكافؤ الفرض ... وهى المبادىء التى نادت بها الأديان السماوية، لأننا بالمحبة والمساواة وتكافؤ الفرص نستطيع أن نبنى المجتمع الصحيح[2].

٨ ـ السادات يأمر ببناء مجمع دينى :

الجدير بالذكر أن الرئيس الراحل محمد أنور السادات كان قد أمر بإنشاء مجمع دينى فى جبل سيناء، يشتمل على مسجد وكنيسة ومعبد، وطلب أن يدفن فى المسجد.[3]

---

(١) انظر هذا الحوار فى : حسين مؤنس ـ المرجع السابق ـ ص ١٩٤ وما بعدها.

(٢) الصحف الصباحية الصادرة يوم ١٩٦٥/٧/٢٥.

(٣) انظر الحديث الصحفى الذى أدلى به الرئيس الراحل محمد أنور السادات إلى مجلة "ريدرز دايجست" الامريكية، ونشرته صحف الاهرام والأخبار والجمهورية يوم ١٩٨٠/٧/١٥.

٩ ـ مسلمون يطالبون ببناء كنيسة على الساحل الشمالي:

تحت هذا العنوان نشرت صحيفة "الأهالى" الصادرة يوم ١٩٩٣/٩/٢٩ الخبر الآتى: "قرابة المائة شخصية من سكان قرى الساحل الشمالى مسلمين وأقباطاً، وقعوا على عريضة للمهندس حسب الله الكفراوى وزير التعمير يطالبونه فيها بتخصيص قطعة أرض فى إحدى قرى الساحل الشمالى لبناء كنيسة عليها، حيث لا توجد كنيسة واحدة فى طول المنطقة الممتدة من العجمى حتى مارينا العلمين. **اللافت للنظر أن أكثر الموقعين على هذه العريضة من المسلمين الذين يشعرون بأهمية مثل هذا الموقف تعزيزاً للوحدة الوطنية".**

١٠ ـ مبارك وبناء الكنائس :

فى حديث الرئيس محمد حسنى مبارك مع إبراهيم نافع، رد على سؤال حول قيود بناء الكنائس فى مصر بقوله: " .. **لم يحدث أن ورد طلب بناء كنيسة، ولم نوافق عليه .. لقد أعطيت أذوناً ببناء كنائس جديدة أكثر من الأذون التى حصلوا عليها أيام السادات وعبد الناصر بكثير.** ولم تحدث مشكلة لأننا نتفاهم ، أنا فى الواقع لا أرى مشكلة بين المسلمين والاقباط فى مصر، وإذا كانت هناك مشكلة فهى بين المتشددين من الطرفين، أما الغالبية العظمى فالعلاقات بينها طيبة جداً ... "[١]

١١ ـ ترميم الكنيسة المعلقة :

عندما تقرر ترميم الكنيسة المعلقة بمصر القديمة (وهى أقدم كنيسة فى العالم) وحصن بابليون، رؤى أن تقوم بذلك شركتان كبيرتان إحداهما يرأسها مسلم (وهى المقاولون العرب ـ عثمان أحمد عثمان) وثانيتهما يرأسها مسيحى (أوراسكوم ـ أنسى ساويرس وشركاه)[٢].

---

(١) صحيفة الأهرام ـ ١٩٩٧/٨/١٥.

(٢) صحيفة الأهرام ـ ١٩٩٧/٧/٣٠ ـ ص٢٠.

وصرح المهندس نجيب ساويرس نائب رئيس مجلس إدارة شركة أوراسكوم، أن كلاً من شركة أوراسكوم والمقاولون العرب كان يمكنهما القيام بهذا العمل بمفردها، إلا أنه تم توحيد الجهد لزيادة قوة العمل العظيم وللتأكيد على الوحدة الوطنية وتعاون أبناء الوطن الواحد للحفاظ على مقدسات بلادنا الغالية سواء مسيحية أوإسلامية.[1].

معظم كنائس مصر بنيت فى العصر الإسلامى :

الحقيقة التى سجلها التاريخ هى أنه منذ الفتح الاسلامى لمصر، تم بناء العديد من الكنائس، منها كنيسة القديس مرقس بالاسكندرية التى بنيت فى ولاية عمرو بن العاص الثانية على مصر وفى خلافة معاوية بن أبى سفيان (٣٨ ـ ٤٣هـ /٦٥٨ ـ ٦٦٣م). وفى مدينة الفسطاط العربية الاسلامية بنيت أول كنيسة بعد الفتح العربى بحوالى ستة وعشرين عاماً أثناء ولاية مسلمة بن مخلد (٤٧ ـ ٦٢ هـ /٦٦٧ ـ ٦٨٢م). كما تم بناء العديد من الكنائس الأخرى فى مختلف البلاد المصرية [2] . وفى هذا الصدد تقول الأستاذة الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف : "... إن الغالبية العظمى من الكنائس وبيوت عبادة أهل الذمة فى مصر الاسلامية بنيت فى العصر الاسلامى، ومنذ خلافة عمر بن الخطاب وفى ظل تسامح المسلمين، وذلك يوضح لنا مدى الحرية الدينية التى تمتع بها أهل الذمة فى مصر، كما يوضح لنا موقف عمر بن الخطاب وموقف الصحابة والتابعين من بناء الكنائس والأديرة فى مصر الإسلامية" [3].

(٧) ـ انتصار أكتوبر العظيم (العاشر من رمضان) :

تحقق انتصار أكتوبر العظيم سنة ١٩٧٣، وتحطم خط بارليف المنيع، وتحررت سيناء الحبيبة، بكفاح الجيش المصرى بمسلميه وأقباطه.

---

[1] صحيفة الاهرام ـ ١٩٩٧/٧/٣٠ ص ١٢.

[2] سيدة إسماعيل كاشف ـ المرجع السابق ـ ص ١٤٦.

[3] سيدة إسماعيل كاشف ـ المرجع السابق ـ ص ١٤٨.

وتحدثت الصحف ووسائل الاعلام فى ذلك الوقت عن ألوان شتى من البطولات، سال فيها دم المقاتل المسلم مع دم المقاتل المسيحى فوق رمال سيناء الحبيبة.

ومن الذين خاضوا معركة أكتوبر ببسالة سجلها التاريخ، اللواء فؤاد عزيز غالى، قائد الفرقة ١٨ التى حررت القنطرة شرق، وقد عيَّنه الرئيس السادات قائداً للجيش الثانى الميدانى، ثم بعد ذلك محافظاً لجنوب سيناء.

ومن القادة الأقباط الذين استشهدوا فى تلك المعركة، اللواء شفيق مترى سدراك، قائد أحد لواءات الفرقة ١٦ [١] . والمقدم رسمى مراد البياضى رئيس فرع عمليات الفرقة.

كذلك تحدثت وسائل الاعلام عن المقاتل "جورج" الذى كان ضمن من وضعوا العلم المصرى على خط بارليف [٢]. وفى عيد الأم فى ٢١ مارس سنة ١٩٧٤ أختيرت السيدة / بهية جرجس يوسف، أماً مثالية ثانية فى الجمهورية، باعتبارها والدة الشهيد الجندى بشاى نجيب الشرقاوى، مقاتل سلاح الاشارة الذى جاد بحياته فى معركة القطاع الأوسط بسيناء يوم ١٩٧٣/١٠/١٥ [٣].

---

(١) كان اللواء شفيق مترى سدراك أول الأبطال الذين كرّمهم القائد الأعلى الرئيس محمد أنور السادات فى الجلسة الوطنية التاريخية بمجلس الشعب صباح يوم ١٩٧٤/٢/١٩.

ويروى المرحوم الأستاذ موسى صبرى كيفية استشهاد اللواء شفيق مترى سدراك، فيقول: " ... كان فى سيارته المدرعة، يدير المعركة الدفاعية ضد أقوى هجوم على رأس شاطئ الفرقة فى كثيب أبو طربوش.. كان فى الخط الأمامى يواجه خطر الموت كل لحظة ... ارتد الهجوم ... ولكن طلقة دبابة أصابت سيارته ... فتحولت بمن فيها إلى رماد فى لحظات" (موسى صبرى ــ وثائق حرب أكتوبر ــ الطبعة الخامسة ــ سنة ١٩٧٨ ــ كتاب اليوم ــ العدد ١٤٣ ــ ص ٣٩٥).

(٢) مجلة صباح الأخير ــ فى ١٩٧٣/١١/٨.

(٣) صحيفة الأهرام فى ١٩٧٤/٣/٢٢، ومجلة آخر ساعة ــ العدد ٢٧٣٦ فى أول أبريل سنة ١٩٨٧ ــ ص ٢٤.

وفى ذكرى هذا النصر العظيم (العاشر من رمضان) كتب فضيلة الإمام الأكبر جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر يقول: "... لنذكر نحن المصريين اليوم كيف كان جيش مصر صفاً واحداً كالبنيان المرصوص يدفعون عدوهم عن أرضهم ويثأرون لكرامتهم دون حزبية ولا طائفية، الكل مقدام جسور يؤدى واجبه نحو وطنه فى تعاون وتفان ووئام، **لم يدر بخلد واحد منهم أن يقول هذا مسلم وذاك قبطى، بل الكل مصرى، فالسلاح موجه إلى الجميع، وعليهم جميعاً أيضاً أن يواجهوا الغدر والخسة من العدو بالوحدة و القوة. إن الطائفية لعبة سياسية باسم الدين لايقرها الاسلام**، إذ هى وسيلة مجربة لاستعباد الشعب وتمزيق وحدته. فلننتبه جميعاً إلى ما يراد بمصر من فرقة وانقسام، ونكشف كل الأقنعة الزائفة التى تتخفى تحت الدين، وتثير البغضاء والشحناء، ولنأخذ على أيدى هؤلاء الذين لايرعون لله ولا للوطن عهداً ولا ذمة أياً كان انتماؤهم، ولنصن وحدة هذا الشعب فهو سند لأمته وحارسها الأمين، وليعلم علم اليقين أن الطائفية شرعة الشيطان وقيادة الأشرار إلى الدمار ... أما الوحدة فسبيل إلى الحياة الكريمة وصولاً بالأمة إلى الحق والعدل والأخوة ... "[1].

وفى يقينى أن معركة تحرير سيناء، هى واحدة من معارك البطولة العديدة التى خاضها الشعب المصرى ــ بمسلميه وأقباطه ــ دفاعاً عن أرض الوطن، منذ اللقاء الأخوى الذى تم بين عمرو بن العاص والبابا بنيامين، فقد تعايش المسلمون

---

(١) الأمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ــ صحيفة الأهرام ١٩٨٧/٥/٨ الموافق العاشر من رمضان سنة ١٤٠٧ هـ ــ انظر أيضاً صحيفتى الأخبار والجمهورية الصادرتين فى نفس اليوم.

وفى مقال آخر لفضيلته بمجلة "الهلال" قال إنه فى جميع الحروب التى خاضتها مصر فى الماضى والحاضر "كان المسلم والمسيحى معاً فى الميدان وفى الشارع وفى المصنع، لم يقل أحد إن هذا مسلم وذاك مسيحى،وإنما كان الكل يعمل، بوصفه مصرياً يؤدى واجبه نحو وطنه .." (الشيخ جاد الحق على جاد الحق ــ الأزهر والوحدة الوطنية ــ مجلة الهلال ــ س ٩٤ ــ عدد مايو سنة ١٩٨٧ ص٢٠).

والأقباط يبنون معاً مصر الحبيبة، ويجودون بالمهج والأرواح دفاعاً عن أرضها الطاهرة. [1]

(٨) ـ صرح الجندى المجهول :

عندما شيدت مصر صرح الجندى المجهول بضاحية مدينة نصر، عبَّر الفنان القدير (سامى رافع) عن أن هذا الجندى يمثل جميع المصريين من مسلمين وأقباط، ولذلك سجل بالخط الكوفى على أضلاع الهرم الذى يشكل نصب الجندى المجهول الأسماء الشائعة للمسلمين والأقباط من جميع المحافظات، فتجاور اسم محمد وعلى وعثمان وعمر، مع أسماء جرجس وبسطوروس وميخائيل وشنودة، مع ممثلى الأقاليم: الطنطاوى والمنوفى والفيومى والمنياوى. **وبذلك تحولت فكرة الهرم من رمز للفناء والموت إلى رمز للحياة والامل والمستقبل** [2].

(٩) ـ حرب تحرير الكويت :

فى حرب تحرير الكويت من الغزو العراقى، شارك الجيش المصرى ــ بمسلميه وأقباطه ــ مع القوات المتحالفة. وكان من بين الشهداء العشرة المصريين

---

(١) فعن حرب التحرير التى شنها الشعب المصرى ضد معسكرات الانجليز فى القناة، كتب الزميل الأستاذ حسن دوح: " .. اذكر قصة وقعت لنا ونحن نحارب الانجليز فى قناة السويس عام ١٩٥١، فبعد معركة التل الكبير أسر الانجليز ستة من الشباب المصرى فى معسكرات القناة، وظلوا يعذبونهم أياماً، ثم توقف التعذيب فجأة بعد أن نشرت أخبار اليوم قصة بطولية لشاب جامعى اسمه إدوار (المهندس إدوار) فعجب الانجليز وسألوا الشباب من الأسرى: هل يحاربنا المسيحيون؟ فقالوا: كل الشعب يحاربكم .." (حسن دوح ـ يوميات الأخبار ـ صحيفة الأخبار يوم ١٩٧٧/١٠/١٤).

وكتب الأستاذ عبد المنعم شميس: "... لقد كان من شهداء البوليس فى معركة الإسماعيلية يوم ٢٥ يناير سنة ١٩٥٢ مسلمون وأقباط .. ويكفى أن نذكر منهم الجندى الشهيد إبراهيم مرقس لويس .. فهل فرقت القوات البريطانية المعتدية بين مسلم وقبطى؟.. وهل فرقت رمال سيناء فى حروبنا المتتالية مع إسرائيل بين دم قبطى ودم مسلم ..." (عبد المنعم شميس ـ مصريون ... مسلمون وأقباط ـ صحيفة الأهرام ـ ١٩٨١/٩/٢٢).

(٢) انظر: د. مينا بديع عبد الملك ـ ملحق صحيفة الاهرام ـ الجمعة ـ ١٩٩٧/٤/٢٥.

فى تلك المعركة، شهيد قبطى هو المقاتل "أمجد صفوت عجيب"، وقد أمر الرئيس محمد حسنى مبارك ببناء مقبرة له فى بلدته بأسيوط، تسجل عليها ظروف التضحية بروحه من أجل مصر والأمة العربية، وحضر مراسم الدفن اللواء حسن الألفى محافظ أسيوط (وزير الداخلية فيما بعد) مندوباً عن القائد الأعلى للقوات المسلحة، واللواء أركان حرب أحمد صلاح الجروانى قائد المنطقة الجنوبية مندوباً عن وزير الدفاع. أما باقى الشهداء التسعة فقد تم دفنهم فى الأراضى المقدسة بناء على الرغبة التى ابدوها قبل المعركة.[1]

أما بالنسبة لجرحى تلك المعركة، فقد نشرت الصحف المصرية الصادرة يوم ١٩٩١/٣/٤ اسماءهم، والملاحظ أن بعض هذه الأسماء مشتركة بين المسلمين والأقباط، والبعض الآخر واضح الدلالة على أنهم من الأقباط، مثل العزيف "ادوار سامى حنا" والجندى "إيهاب صلاح سمعان" وغيرهما.

كنت أود ألا أذكر هذه الأسماء، وأفضِّل أن أقول إن الجميع مصريون وكفى، وأننا نعيش ونموت معاً دون تفرقة، ولكن أردت بذكر هذه الأسماء أن أؤكد لبعض المتطرفين أن دماء المسلمين والأقباط امتزجت فى ساحات القتال على مدى التاريخ.

---

[1] انظر جميع الصحف المصرية الصادرة يوم ١٩٩١/٣/٦.

خـــاتمـــــة

يتضح مما سبق أن التعددية عقيدة راسخة فى الإسلام، وهى تنادى بالتعايش مع الآخرين، كما أن الوشيجة الإيمانية التى تربط بين المسلمين والمسيحيين، والمحبة التى هى جوهر العقيدة المسيحية، كل هذه أثمرت على أرض مصر **"وحدة وطنية أصيلة"**، عمادها أن اختلاف الدين لا يغيِّر من وحدة العنصر والدم والوجدان المشترك. لقد أسلم من أسلم، وبقى على مسيحيته من بقى، وواصلت مصر بكل أبنائها مسيرة كفاحها عبر التاريخ.

لقد سجل التاريخ صمود هذه الوحدة عبر القرون الطويلة، فكان المصريون جميعاً أسرة واحدة، تواصل الحياة المشتركة والكفاح الوطنى من أجل حماية الأرض والولد.

وكان الظلم الذى يحل بأبناء هذا الوطن من الغزاة، لا يفرِّق بين مسلم وقبطى، ولذلك أدرك المصريون ــ بحسهم الفطرى ــ أن الغازى ــ مهما أظهر من حسن النوايا والتستر وراء الدين ــ لا يبغى سوى ضرب وحدتهم، وتدمير بلادهم، ونهب خيراتها. وهذا ما يفسر ــ كما سلف البيان ــ لماذا حارب الأقباط فى صفوف المسلمين ضد جميع الغزاة من الصليبيين، والفرنسيين والانجليز، والاسرائيليين وغيرهم.

هكذا كان شعب مصر

مصريون قبل الأديان، ومصريون بعد الأديان، ومصريون إلى آخر الزمان.

سيظل شعب مصر ــ بإذن الله ــ أسرة واحدة، تعبد إلهاً واحداً، وتقيم له الصلوات فى المسجد والكنيسة.

فلا نجاح لمصر إلا بتعاون جميع أبنائها

لا وطن لهم إلا فيها
ولا مستقبل لهم إلا بها
ولا أمل لهم إلا منها

أنا لا أخاف على هذه الوحدة من العواصف والأعاصير التى تتعرض لها من حين لآخر، فالشعب الواحد، ذو الدم الواحد، قادر على التغلب عليها والخروج منها أشد قوة وأصلب عوداً. إن "**الرصيد التاريخى**" للوحدة الوطنية طوال أربعة عشر قرناً من الضخامة بحيث يجعل من هذه الوحدة صخرة قوية تتحطم عليها جميع الفتن والحوادث الطارئة.

تلك هى الحقيقة الهامة التى أريد أن أؤكدها وأضع تحتها أكثر من خط.

عاشت مصر .... بكل المصريين .... ولكل المصريين .

تم بحمد الله

المراجع

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً : الكتاب المقدس (العهد الجديد)

ثالثاً : كتب الحديث والتفسير

١- أبو داود ـ سنن أبى داود

٢- أحمد بن حنبل ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل.

٣- البخارى ـ صحيح البخارى ـ طبعة دار الشعب.

٤- الترمذى ـ صحيح الترمذى ـ بشرح الإمام ابن العربى المالكى ـ الطبعة الأولى سنة ١٣٥٠ هـ ـ ١٩٣١م.

٥- السيوطى ـ جامع الأحاديث للإمام السيوطى.

٦- القرطبى ـ الجامع لأحكام القرآن ـ طبعة دار الغد.

٧- الكاسانى ـ بدائع الصنائع فى ترتيب الشرائع.

٨- النسائى ـ سنن النسائى ـ بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى وحاشية الإمام السندى.

رابعاً : الكتب الأخرى.

١- إبراهيم سعده ـ مقالات ساخنة ـ مكتبة الأسرة ـ سنة ١٩٩٧ .

٢- ابن تيمية (شيخ الإسلام تقى الدين أحمد) ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ـ الطبعة الثانية ـ القاهرة ـ المكتبة القيمة سنة ١٤٠١ هـ.

ـ الحسبة فى الإسلام ـ الإسكندرية ـ دار عمر بن الخطاب ـ بدون تاريخ.

٣- أحمد حسن الباقورى ـ قطوف من أدب النبوة ـ كتاب اليوم ـ العدد ١٨٨ (يوليه ١٩٨١).

٤- السِنِكْسَار ـ كتاب الصادق الأمين فى أخبار القديسين ـ نشره الايغومانس فيلوثاؤس المقارى والقس ميخائيل المقارى.

٥- بولس باسيلى (القمص) ـ الأقباط وطنية وتاريخ ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧.

٦- جمال بدوى ـ الفتنة الطائفية فى مصر ـ جذورها وأسبابها ـ منشورات المركز العربى للصحافة ـ سنة ١٩٨٠.

٧- حسين مؤنس ـ دراسات فى ثورة ١٩١٩ ـ سلسلة اقرأ رقم ٤١٨.

٨- خالد محمد خالد ـ معاً على الطريق ـ محمد والمسيح ـ كتاب اليوم.

٩- رفعت السعيد ـ ماذا جرى لمصر ـ سنة ١٩٩١.

١٠ـ رمزى ميخائيل جيد ـ الوحدة الوطنية فى ثورة ١٩١٩ ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ سنة ١٩٨٠.

١١- رياض سوريال ـ المجتمع القبطى فى مصر فى القرن ١٩ ـ مكتبة المحبة ـ سنة ١٩٨٤.

١٢- زاهر رياض ـ المسيحيون والقومية المصرية ـ سنة ١٩٧٩.

١٣- سميرة بحر ـ الأقباط فى الحياة السياسية المصرية ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٨٤.

١٤- سيدة إسماعيل كاشف ـ مصر الإسلامية وأهل الذمة ـ سنة ١٩٩٣.

١٥- شنودة الثالث (البابا) لماذا خلق الله الإنسان ـ سنوات مع أسئلة الناس ـ الجزء الثانى.

١٦- طارق البشرى ـ المسلمون والاقباط فى إطار ـ الجماعة الوطنية ـ سنة ١٩٨٠.

١٧- طاهر عبد الحكيم ـ الشخصية الوطنية المصرية ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٦ ـ دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع.

١٨- عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) ـ القرآن وقضايا الإنسان ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٧٥.

١٩- عباس محمود العقاد ـ عبقرية عمر ـ الطبعة الرابعة سنة ١٩٤٨.

٢٠- عبد التواب يوسف ـ الهلال والصليب ـ مكتبة روز اليوسف ـ سنة ١٩٨٠.

٢١- عبد الرحمن الشرقاوى ـ الفاروق عمر بن الخطاب ـ سنة ١٩٨٧.

ـ الفقيه المعذب ابن تيمية ـ كتاب اليوم ـ العدد ٤٤ (يونية سنة ١٩٨٥).

٢٢- عبد الستار الطويله ـ أمراء الإرهاب ـ كتاب اليوم ـ سنة ١٩٩٣.

٢٣- عبد العزيز حافظ دنيا ـ العدالة العمرية ومبادئ الإسلام ـ سنة ١٩٨٨.

٢٤- عبد المنعم إبراهيم الدسوقى الجميعى ـ الثورة العرابية ـ بحوث ودراسات وثائقية ـ القاهرة ـ سنة ١٩٨٢.

٢٥- غالى شكرى ـ الأقباط فى وطن متغير ـ دار الشروق ـ سنة ١٩٩١.
٢٦- فهمى هويدى ـ مواطنون لاذميون ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥ ـ دار الشروق.
٢٧- قاسم عبده قاسم ـ أهل الذمة فى مصر فى العصور الوسطى ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٧٧.
٢٨- محمد حسنين هيكل ـ خريف الغضب ـ الطبعة الرابعة سنة ١٩٨٣.
٢٩- محمد سليم العوا ـ الأقباط والإسلام ـ سنة ١٩٨٧.
٣٠- محمد عماره ـ الإسلام وحقوق الإنسان ـ ضرورات لا حقوق ـ الكويت ـ سنة ١٩٨٥.
٣١- محمود سلام زناتى ـ تاريخ القانون المصرى ـ دار النهضة العربية ـ سنة ١٩٧٣.
٣٢- مصطفى الفقى ـ الأقباط فى السياسة المصرية ـ دار الشروق ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥.
٣٣- مصطفى أمين ـ من واحد لعشرة ـ الطبعة الثالثة ـ كتاب اليوم ـ سنة ١٩٩٠.
٣٤- موسى صبرى ـ وثائق حرب أكتوبر ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٧٨ ـ كتاب اليوم.
٣٥- ميلاد حنا ـ نعم ... أقباط لكن .. مصريون ـ مكتبة مدبولى سنة ١٩٨٠.
ـ الأعمدة السبعة للشخصية المصرية ـ كتاب الهلال ـ يناير سنة ١٩٨٩.
٣٦- نجيب محفوظ ـ حول الدين والديمقراطية ـ الدار المصرية اللبنانية ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠.
٣٧- نظمى لوقا ـ عمر بن الخطاب ـ البطل والمثل والرجل ـ مكتبة غريب ـ سنة ١٩٨٧.
٣٨- وليم سليمان قلادة ـ المسيحية والإسلام على أرض مصر ـ كتاب الحرية ٩ـ الطبعة الأولى ـ فبراير سنة ١٩٨٦.
٣٩- وهبة الزحيلى ـ نظام الإسلام ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٧٤ـ منشورات جامعة بنغازى.

خامساً : المقالات

١- إبراهيم نافع ـ وحدتنا الوطنية هل هى فى خطر حقاً ـ صحيفة الأهرام ـ ١٩٩٢/٥/٢٢.

٢- أحمد الحفناوى ـ هذه الفتنة الحمقاء ـ صحيفة الجمهورية ـ ١٩٩٠/٣/٢٥.

٣- أحمد بهاء الدين ـ التدين والتعصب والانسجام الوطنى فى مصر ـ صحيفة الأهرام ـ ١٩٧٢/١١/١٩.

٤- أحمد كمال أبو المجد ـ الحوار مع الشباب ـ العنصر الغائب فى قضية الإرهاب ـ صحيفة الأهرام ـ ١٩٩٣/٤/٤.

٥- برسوم شحاته (القس) روعة الحب ـ صحيفة وطنى ـ ١٩٨٧/٦/٢٨.

٦- جاد الحق على جاد الحق (الإمام الأكبر) ـ الأزهر والوحدة الوطنية ـ مجلة الهلال ـ مايو سنة ١٩٨٧.

- الإسلام رسالة إنسانية أقامت العدل والمساواة ـ صحيفة الأهرام ـ ١٩٩٤/٣/٥.

- المنظور الإسلامى لحقوق الإنسان ـ صحيفة الأهرام ١٩٩٤/٣/٨.

٧- جمال بدوى ـ القرآن فى بيت عم صليب ـ صحيفة الوفد ـ ١٩٨٧/٣/٥.

- وماذا بعد أعمال القتل والنسف؟ - صحيفة الوفد ـ ١٩٩٤/٣/١٠.

٨- حسن دوح ـ يوميات الأخبار ـ صحيفة الأخبار ـ ١٩٧٧/١٠/١٤.

٩- خالد محمد خالد ـ قصتى مع الحياة ـ صحيفة الوفد ـ ١٩٩٢/١١/١٩.

١٠- رءوف عباس ـ الأقباط والمأزق الوطنى ـ صحيفة الأهالى ـ ١٩٩٤/٥/١١.

١١- رجب البنا ـ محو الأمية الدينية هو الحل ـ مجلة أكتوبر العدد ٩٤٣ ـ فى ١٩٩٤/٩/١٨.

- اسلاموفوبيا ـ صحيفة الأهرام ـ ١٩٩٧/٧/٦.

- كيف نقدم الإسلام للغرب ـ مجلة الرائد (تصدرها نقابة المعلمين) العدد الثانى سنة ١٩٩٧.

١٢- شنودة الثالث (البابا) ـ المحبة ـ صحيفة وطنى ١٩٩٢/٧/١٢.

- وأيضاً ... المحبة ـ صحيفة وطنى ١٩٩٢/٧/١٩ .

- جاء المسيح يصحح مفاهيم اليهود ويقدم تعليماً روحياً سامياً ـ صحيفة الأهرام ـ ١٩٩٣/١/٧.

١٣- صبحي عبد الحكيم ـ صور تاريخية مشرقة لوحدتنا الوطنية ـ صحيفة مايو ـ ١٩٨١/٦/٢٩.

١٤- طارق البشرى ـ أربع ملاحظات حول الفتنة الطائفية ـ مجلة المصور ـ العدد ٣٢٥٩ فى ١٩٨٧/٣/٢٧.

١٥- عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) ـ الدين رسالة حضارية إلى الإنسان ـ صحيفة الأهرام ـ ١٩٩٤/١١/١٧.

١٦- عاطف الغمرى ـ مصر خارج دائرة الكراهية ـ صحيفة الأهرام ـ ١٩٩٢/٩/٣٠.

١٧- عبد العظيم أنيس ـ أم هنرى وذكريات أخرى ـ صحيفة الأهالى ـ ١٩٨٧/٣/١١.

- مدخل عام إلى المشكلة الطائفية ـ ضمن مجموعة بحوث بعنوان "المشكلة الطائفية فى مصر" مركز البحوث العربية ـ الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨.

١٨- عبد المنعم شميس ـ مصريون ... مسلمون وأقباط ـ صحيفة الأهرام ـ ١٩٨١/٩/٢٢.

١٩- عبد الناصر العطار ـ الوحدة الوطنية والتمسك بالعقيدة ـ صحيفة الأهرام ـ ١٩٨٩/٥/٢٨.

٢٠- عواطف عبد الرحمن ـ ثلاث رسائل لمن يهمه الأمر ـ صحيفة الأهالى ـ ١٩٩٢/١١/١١.

٢١- فهمى هويدى ـ القطب الأعظم للدنيا ـ صحيفة الأهرام ـ ١٩٩٢/٨/٤.

- فى الشريعة : العدل قبل الحد ـ صحيفة الأهرام ـ ١٩٩٣/٤/١٣.

- الاشتباك الموهوم بين الإسلام والتعددية ـ صحيفة الأهرام ـ ١٩٩٦/٦/١٨.

٢٢- ليلى تكلا ـ الوحدة الوطنية ليست موضوعاً موسمياً ـ صحيفة الأهرام ـ ١٩٨٧/٨/١٠.

- هل فى مصر عنصران للأمة ـ صحيفة الأهرام ـ ١٩٩٢/٥/٣٠.

٢٣- مرسى سعد الدين ـ هكذا كتبوا عن وحدتنا الوطنية ـ صحيفة الأهرام ـ ١٩٨٧/٤/١٦.

٢٤- محمد حسنين هيكل ـ أقباط مصر ليسُوا أقلية ، وإنما جزء من الكتلة الإنسانية الحضارية للشعب المصرى ـ صحيفة الأهرام ـ ١٩٩٤/٤/٢٢.

٢٥- محمد سيد طنطاوى (الإمام الأكبر) ـ الإسلام يعامل أهل الذمة بالقاعدة الذهبية المعروفة : لهم ما لنا وعليهم ما علينا ـ صحيفة الأخبار ـ ١٩٩١/٧/١٩.
- آيتان كريمتان ترسمان علاقة المسلمين بغيرهم ـ صحيفة الأهرام ـ ١٩٩٢/٧/١.
- سماحة الإسلام مع غير المسلمين ـ صحيفة الأهرام ـ ١٩٩٢/٦/٦.
- حديث القرآن عن الرحمة والعدل ـ صحيفة الأهرام ـ ١٩٩٢/٨/١٠.
٢٦- محمد متولى الشعراوى (الشيخ) - يوميات الأخبار ـ صحيفة الأخبار ـ ١٩٩٣/٧/٩ و ١٩٩٣/٧/١٦.
٢٧- مصطفى الفقى ـ الوحدة الوطنية المصرية ـ صحيفة الأهرام ـ ١٩٨٤/١/١٥.
٢٨- مصطفى أمين ـ فكرة ـ صحيفة أخبار اليوم ـ ١٩٨٠/١/١٢.
- فكرة ـ صحيفة الأخبار ـ ١٩٨٠/٤/١.
٢٩- مصطفى محمود ـ الصراع الدائر ـ صحيفة الأهرام ١٩٩٤/٥/١٤.
٣٠- منى مكرم عبيد ـ الميثاق الوطنى هو الحل ـ نشرة المجتمع المدنى ـ العدد السابع ـ يوليه سنة ١٩٩٢.
٣١- ميلاد حنا ـ اللاتسامح يسود عام التسامح ـ صحيفة الأهرام ـ ١٩٩٥/٥/٢.
٣٢- وليم سليمان قلادة ـ تيارات الفكر المسيحى فى الواقع المصرى ـ مجلة الطليعة س٢ عدد ١٢ (ديسمبر سنة ١٩٦٦).
- ثقافة الشعب الواحد ـ صحيفة وطنى ـ ١٩٩٣/٤/٤.

الفهـــرس

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الفصل الرابع

الوحدة الوطنية فى تاريخ مصر المعاصر

الصفحة

المؤلف

المستشار الدكتور إدوار غالى الذهبى

* تخرج فى كلية حقوق القاهرة سنة ١٩٥٣، وعيِّن مندوباً مساعداً بإدارة قضايا الحكومة، وحصل على الدكتوراه سنة ١٩٦٠ـ وتدرج فى المناصب القضائية حتى عيّن فى ١٩٩٠/٧/١ رئيساً لهيئة قضايا الدولة.

* أعير للتدريس بجامعة القاهرة فرع الخرطوم، ثم بجامعة بنغازى بليبيا، لمدة تسع سنوات، ثم للتدريس بالدراسات العليا بجامعة الزقازيق.

* اشترك فى تقييم ومناقشة بعض رسائل الدكتوراه، واختارته جامعة بنغازى عضواً فى لجنة ترقية أعضاء هيئة التدريس بها، كما اختارته كلية العلوم الإدارية بجامعة الملك سعود بالرياض ضمن قائمة المحكمين الخاصة بمركز البحوث بها.

* عُيِّن فى أغسطس سنة ١٩٩١ مستشارا متفرغاً لرئيس مجلس الشعب.

* عُيِّن فى أبريل سنة ١٩٩٢ عضواً بمجلس الشعب فى المكان الذى خلا بانتخاب الدكتور بطرس غالى أميناً عاماً للأمم المتحدة . ثم أعيد تعيينه فى ديسمبر سنة ١٩٩٥.

* حصل فى احتفالات المولد النبوى الشريف فى ٢٠ أغسطس سنة ١٩٩٤ على وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى تقديراً لكتاباته المنصفة للإسلام.

* له ما يزيد على عشرين كتاباً فى القانون أعيد طبع معظمها أكثر من مرة، وله ما يزيد على أربعين بحثاً قانونياً نشرت فى مختلف المجلات القانونية.

هذا الكتاب

مؤلف قبطى

وناشر مسلم

لكتاب يؤكد الوحدة الوطنية المتأصلة فى أعماق الشعب المصرى.

إن المصريين شعب واحد ... من أصل واحد ... من عنصر واحد ... يعبدون إلهاً واحداً... ويقيمون له الصلوات فى المسجد والكنيسة.

لقد تعلم المصريون منذ القِدم أن اختلاف الدين لا ينال من وحدة الدم والمصير. وهذا ما يفسر لماذا وقف الشعب المصرى ـــ بمسلميه وأقباطه ـــ صفاً واحداً يحارب جميع الغزاة من الصليبيين والفرنسيين والإنجليز والإسرائليين وغيرهم.

عاشت مصر .. بكل أبنائها .. ولكل أبنائها

عبده غريب